أَيُّهَا التَّقِيُّ... أَبْشِرْ

التَّقْوَى
جُنَّةٌ... وَطَرِيقُكَ إِلَى الجَنَّةِ

جَمْعُ وتَرْتِيبُ

هَانِي سَعْد غُنَيْم

آيَاتُهُ مُخَرَّجَةٌ وَأَحَادِيثُهُ مُحَقَّقَةٌ

الطَّبْعَةُ الأُولَى

٢٠٠٥م - ١٤٢٦هـ

مكتبة الإيمان

المنصورة . أمام جامعة الأزهر

ت: ٢٢٥٧٨٨١ .٥٠

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة٢١٢]

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ(١): «مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: التَّقْوَى وَحُسْنُ الْخُلُقِ»

رَقْمُ الإِيدَاعِ بِدَارِ الكُتُبِ وَالوَثَائِقِ القَوْمِيَّةِ

١١٢١٤-٢٠٠٥م

بِتَارِيخِ ١٩/٦/٢٠٠٥م

التَّرْقِيمُ الدُّوَلِي I.S.B.N

977-17-2297-2

---

(١) (صحيح): أحمد ٧٨٤٧، ابن ماجة ٤٢٤٦، الترمذى ٢٠٠٤، صحيح سنن الترمذى ٤/ ٣٦٤

إهداء

إِلَى الَّذِينَ تَاهُوا فِي زِحَامِ الطَّرِيقِ وَظُلُمَاتِهِ؛ فَلَمْ يُبْصِرُوا طَرِيقَ الحَقِّ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا؛ فَمَا ضَلَّ مُسْلِمٌ قط إلاَّ لِبُعْدِهِ عَنِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ[1]:

«تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ».

وَأَشْرَقَ نُورٌ تَحْتَ كُلِّ ثَنِيَّةٍ فَقُل ... وَضَاعَ أَرِيجٌ تَحْتَ كُلِّ حَصَاةٍ[2]
لِرَسُولِ اللهِ يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ ... أَبُثُّكَ مَا تَدْرِي مِنَ الحَسَرَاتِ
شُعُوبُكَ فِي شَرْقِ البِلادِ وَغَرْبِهَا ... كَأَصْحَابِ كَهْفٍ فِي عَمِيقِ سُبَاتِ
بِأَيمَانِهِم نُورَانِ: ذِكْرٌ وَسُنَّةٌ ... فَمَا بَالُهُم فِي حَالِكِ الظُّلُمَاتِ

وَإِلَى الَّذِينَ أَذْنَبُوا كَثِيرًا؛ وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ، فَتَخَبَّطُوا، أَهْدِيهِمْ هَذَا الكِتَابَ لِعَلَّهُ يُضِيءُ أَمَامَهُمْ شُعَاعًا مِنَ الأَمَلِ؛ حَتَّى يَفِيقُوا مِنْ غَفْلَتِهِمْ! وَيَتُوبُوا؛ فَالتَّوْبَةُ تَجُبُّ مَا قَبْلَهَا؛ فَاللهُ لَمْ يُكَلِّفْ أَحَدًا العِصْمَةَ، إِنَّمَا كَلَّفَهُ إِذَا أَخْطَأَ أَنْ يَثُوبَ إِلَى رُشْدِهِ، وَإِذَا عَثَرَتْ قَدَمُهُ أَنْ يَنْهَضَ مِنْ كَبْوَتِهِ؛ لِيَسْتَأْنِفَ طَرِيقَهُ إِلَى الغَايَةِ المَنْشُودَةِ... وَأَخِيرًا ..إِلَى المُتَّقِينَ؛ أَفْضَلِ العَالَمِينَ وَأَكْرَمِهِمْ؛ لِيَثْبُتُوا، فَهُمْ عَلَى الحَقِّ بِإِيمَانِهِمُ العَمِيقِ وَحُبِّهِمْ طَرِيقَ الصَّالِحِينَ.

---

(١) (حسن): مشكاة المصابيح ١/ ١٨٦، مرسلاً عن أنس.

(٢) أحمد شوقي: ١٢٨٥- ١٣٥١هـ.

مُقَدِّمَة

مَا أُرِيدُهُ مِنْكَ -بَادِئَ ذِي بِدْءٍ- قَبْلَ أَنْ تَعْصى اللهَ عَلَيْكَ أَنْ تَتَفَكَّرَ فِي هَذِهِ الدُّنيَا وَحَقَارَتِهَا وَقِلَّةِ مَتَاعِهَا وَسُرْعَةِ انْقِضَائِهَا، وَتَجْعَلَ الآخِرَةَ هَمَّكَ؛ وَتَتَفَكَّرَ فِي النَّارِ وَتَوَقُّدِهَا وَبُعْدِ قَعْرِهَا وَشِدَّةِ حَرِّهَا وَعَظِيمِ عَذَابِ أَهْلِهَا؛ ثُمَّ قَارِنْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الجَنَّةِ، وَمَا أَعَدَّهُ اللهُ لأَهْلِ طَاعَتِهِ؛ فَفِيهَا مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَهَلْ هُنَاكَ نَعِيمٌ فِي الدُّنيَا يُسَاوِي جُزْءًا وَلَوْ يَسِيرًا مِنْ نَعِيمِ الجَنَّةِ؟! إِنْ قُلْتَ: نَعَمْ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ فِي غُرُورٍ..

عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِمًا ... فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ القُصُورِ[1]
تَسْعَى عَلَيْكَ بِمَا اشْتَهَيْتَ ... لَدَى الرَّوَاحِ إِلَى البُكُورِ
فَإِذَا النُّفُوسُ تَقَعْقَعَتْ ... فِي ضِيقِ حَشْرَجَةِ الصُّدُورِ
هُنَاكَ تَعْلَمُ مُوقِنًا مَا ... كُنْتَ إِلاَّ فِي غُرُورِ

وَيَا أَخِي الحَبِيبَ اللَّبِيبَ إِنِّي سَائِلُكَ سُؤَالاً: كَمْ سَتَعِيشُ فِي هَذِهِ الدُّنيَا؟! ثُمَّ مَاذَا؟! فَإِمَّا إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَإِمَّا إِلَى نَارِ الجَحِيمِ. فَاعْلَمْ -يَقِينًا- أَنَّ مَلَكَ المَوْتِ كَمَا تَعَدَّاكَ إِلَى غَيْرِكَ فَهُوَ فِي الطَّرِيقِ إِلَيْكَ، فَمَا هِيَ إِلاَّ أَيَّامٌ؛ وَتُصْبِحُ وَحِيدًا فِي قَبْرِكَ فَرِيدًا؛ فَلاَ مَالَ وَلاَ أَهْلَ؛ فَتَذَكَّرْ ظُلْمَةَ القَبْرِ وَوَحْشَتَهُ وَشِدَّةَ ضَغْطَتِهِ. وَأُبَشِّرُكَ

---

(١) أبو العتاهية: ١٣٠ - ٢١١، يعظ أمير الدنيا؛ هارون الرشيد.

بِقَوْلِ أَحَدِ الصَّالِحِينَ؛ حَتَّى لاَ تَقْنَطَ مِنْ رَحْمَةِ مَوْلاَكَ، وَهُوَ سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ[1]: "مَنْ كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ فِي الشَّهْوَةِ فَارْجُ لَهُ، وَمَنْ كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ فِي الكِبْرِ فَاخْشَ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ آدَمَ عَصَى رَبَّهُ مُشْتَهِيًا فَغُفِرَ لَهُ، وَإِبْلِيسُ عَصَى رَبَّهُ مُتَكَبِّرًا فَلُعِنَ".

قَرُبَ الرَّحِيلُ إِلَى دِيَارِ الآخِرَةِ ... فَاجْعَلْ بِفَضْلِكَ خَيْرَ عُمْرِي آخِرَه

وَارْحَمْ مَقِيلِي فِي القُبُورِ وَوَحْشَتِي ... وَارْحَمْ عِظَامِي حِينَ تَبْقَى نَاخِرَة

وَلاَ تَكُنْ أَعْمَى فِي الدُّنيَا؛ فَتَضِلَّ فِي الآخِرَةِ، قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الإسراء:٧٢] وَاجْتَهِدْ؛ لِتَكُونَ أَحَدَ هَؤُلاَءِ المتَّقِينَ؛ فَاللهُ يَتَقَبَّلُ أَعْمَالَهُم: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧] وَهُمْ فِي مَعِيَّتِهِ ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٩٤] وَهُمْ أَحْبَابُ رَبِّهِمْ وَخَالِقِهِمْ فَقَالَ: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:٧٦] وَهُوَ وَلِيُّهُم: ﴿وإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٩] وَيُحْشَرُونَ إِلَى رَبِّهِم وَفْدًا يَوْمَ القِيَامَةِ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [مريم:٨٥] وَهُمْ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فَقَالَ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٤-٥٥] وَوَعَدَهُمْ

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٦١.

وَعْدًا آخَرَ بِالمكَانِ الحَسَنِ وَالمَنَازِلِ وَالدَّرَجَاتِ فِي الجَنَّةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللّهِ وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ﴾ (آل عمران:١٩٨) فَمَاذَا يُرِيدُ الإِنْسَانُ مِنَّا -بَعْدَ هَذَا التَّكْرِيمِ- مِنْ رَبِّهِ الكَرِيمِ دُنْيَا وَأُخْرَى؟! وَصَدَقَ مَوْلاَنَا إِذْ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (الانفطار:٦)؟! غَرَّهُ بِهِ أَنَّهُ كَرِيمٌ! فَهَذَا بَعْضٌ مِنْ تَكْرِيمِ الله لَهُم، وَالبَاقِي أَتْرُكُهُ؛ لِتَقْرَأَهُ عَلَى سُطُورِ هَذَا الكِتَابِ، دَاعِيًا المَوْلَى أَنْ يَنْفَعَ وَيَفْتَحَ بِهِ قُلُوبًا غُلْفًا وَآذَانًا صُمًّا وَأَنْ يُعَبِّدَ -أَمَامَ التَّائِهِينَ- طُرُقًا إِلَى رَبِّ العَالَمِينَ، وَأَنْ يَتَقَبَّلَهُ مِنِّي بِقَبُولٍ حَسَنٍ، وَلاَ يَسَعُنِي إِلا أَنْ أَدْعُوَ لأَخِي وَصَدِيقِي الصَّدُوقِ/ عِمَاد حَسَن أَبُو العَيْنَيْنِ؛ عَلَى مَا قَدَّمَهُ مِنْ تَعَاوُنٍ صَادِقٍ فِي إِخْرَاجِ هَذَا الكِتَابِ، جَزَاهُ اللهُ خَيْرَ الجَزَاءِ، وَاللهُ مِنْ وَرَاءِ القَصْدِ...

وَكَتَبَهُ الفَقِيرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ القَدِيرِ

هاني سعد غنيم
مِصْر - الدَّقَهْلِيَّة- بلقاس- شَارع سَاحِل طِيمَة
الثُّلاثَاء ٢٥ مِنْ رَجَب ١٤٢٦هـ
المُوَافِق ٣٠ مِنْ أُغُسْطُس ٢٠٠٥مـ
هَاتِفُ مَنْزِل رقم٢٧٨٦٣٩٧/ ٠٥٠ - مَحْمُول ٠١٢/ ١٤٧٥٩٧٣
وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ

التَّقْوى لُغَةً وَشَرْعًا

فِي هَذَا البَابِ نُلْقِي الضَّوْءَ -إنْ شَاءَ اللهُ- عَلَى المعْنَى اللُّغَوِيِّ لِكَلِمَةِ (التَّقْوى)(١) فَمَعْرِفَةُ المعْنَى اللُّغَوِيِّ مِنَ الأَهَمِيَّةِ بِمَكَانٍ، وَمِنْ خِلالِ هَذَا المعْنَى يَسْتَطِيعُ الإِنْسَانُ أَنْ يَقِفَ عَلَى مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ لَمْ تَكُنْ فِي الحُسْبَانِ، وَلاَ سِيَّمَا وَقَدْ ضَاعَتِ اللُّغَةُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِي أَهْلِهَا؛ فَالتَّقْوى مِنَ الفِعْلِ وَقيَ؛ فَتَقُولُ: وَقَاهُ اللهُ وَقْيًا وَوِقَايَةً وَوَاقِيَةً، أَيْ: صَانَهُ وَحَفِظَهُ مِنَ الأَذَى، وَالوِقَاءُ وَالوَقَاءُ وَالوَقَايَةُ وَالوُقَايَةُ هُوَ كُلُّ مَا وَقِيتَ بِهِ شَيْئًا، وَرَجُلٌ تَقِيٌّ أَيْ: مُوَقٍّ نَفْسَهُ مِنَ العَذَابِ وَالمعَاصِي بِالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَاتَّقَى فُلاَنٌ رَبَّهُ، أَيْ: صَارَ تَقِيًّا، وَجَمْعُهُ أَتْقِيَاء كَوَلِيٍّ أَوْلِيَاء، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [الرعد٣٤] وَاقٍ أَيْ: دَافِعٌ يَدْفَعُ عَنْهُمُ العَذَابَ، وَاللهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى أَيْ: أَهْلٌ أَنْ يُتَّقَى عِقَابُهُ وَيُؤَدَّى إِلَى مَغْفِرَتِهِ؛ وَفِي التَّنْزِيلِ أَيْضًا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب١] أَيْ: اثْبُتْ وَدُمْ عَلَى تَقْوَاهُ، وَفِي الحَدِيثِ كُنَّا إِذَا احْمَرَّ البَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ الله، أَيْ: جَعَلْنَاهُ وِقَايَةً لَنَا مِنَ العَدُوِّ أَمَامَنَا، وَاسْتَقْبَلْنَا بِهِ العَدُوَّ، وَقُمْنَا خَلْفَهُ؛ فَلاَ يَكُونُ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى العَدُوِّ مِنْهُ، وفي الحديث قول النبي لمعاذ: تَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ أَيْ: تَجَنَّبْهَا، وَلاَ تَأْخُذْهَا فِي

(١) لسان العرب مادة (وقى).

الصَّدَقَةِ؛ لأَنَّهَا تَكْرُمُ عَلَى أَصْحَابِهَا وَتَعِزُّ؛ فَخُذِ الأَوْسَطَ مِنْهَا، فَهَلْ هُنَاكَ -أَيُّهَا اللَّبِيبُ- أَكْرَمُ عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ وَأَهْلِكَ؛ حَتَّى تُهْلِكَهُمَا؟! فَاتَّقِ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم٦] وَحَسْبُنَا مِنَ المعَانِي مَا ذَكَرْنَاهُ.. أَمَّا التَّقْوَى شَرْعًا فَهِيَ الحَاجِزُ أَوِ المَانِعُ؛ ذَلِكُمُ المَانِعُ الَّذِي يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ محَارِمِ الله؛ حَتَّى لاَ تَقَعَ فِيهَا فَيَغْضَب عَلَيْكَ رَبُّكَ؛ شَخْصٌ -مَثلاً- يَخَافُ الشَّمْسَ الحَارِقَةَ، فَإِنَّهُ يَتَّخِذُ حَاجِبًا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَرَارَةِ الشَّمْسِ؛ أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟! بلى، إِذًا.. اجْعَلْ مِنْ تَقْوَى الله ﷻ وِقَايَةً لَكَ تَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَضَبِ الله وَسَخَطِهِ عَلَيْكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ [طه٨١] هَوَى أَيْ: هَلَكَ فِي الدُّنيَا، وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى.

"وَتَقْوَى الله فِعْلُ طَاعَتِهِ وَاجْتِنَابُ نَوَاهِيهِ، كُلُّ شَيْءٍ يَخَافُ مِنْهُ الإِنْسَانُ يَجْعَلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَخْشَاهُ حَائِلاً وَوِقَايَةً تَقِيهِ مِنْهُ"(١)، أَلاَ تَخْشَى اللهَ ﷻ؟! قَالَ اللهُ: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب٣٧] وَقَدْ حَذَّرَنَا اللهُ نَفْسَهُ فقَالَ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران٣٠] أَمَّا التَّقْوَى شَرْعًا فَلَهَا تَعْرِيفَاتٌ

---

(١) ابن رجب: جامع العلوم والحكم.

مُتَعَدِّدَةٌ؛ نَخْتَارُ مِنْهَا -إِنْ شَاءَ اللهُ- تَعْرِيفًا مُوجزًا مَانِعًا شَامِلاً؛ وَهُوَ فِعْلُ المأْمُورِ وَتَرْكُ المحْذُورِ..

أَيَا مَنْ عَاشَ فِي الدُّنْيَا طَوِيلاً وَأَفْنَى العُمْرَ فِي قِيلٍ وَقَالِ[1]
وَأَتْعَبَ نَفْسَهُ فِيمَا سَيَفْنَى وَجَمَّعَ المَالَ مِنْ حَرَامٍ أَوْ حَلالِ
هَبْ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوًا أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَاكَ إِلَى الزَّوَالِ

إِنَّهَا كَلِمَاتٌ قَلِيلَةٌ لَكِنَّهَا تَحْتَاجُ إِلَى بَيَانٍ؛ فِعْلُ المأْمُورِ بِمَعْنَى: أَنْ تَفْعَلَ مَا أَمَرَكَ اللهُ بِهِ، وَهَذِهِ الأَوَامِرُ مُنْدَرِجَةٌ فِي القُرْآنِ تَحْتَ مُسَمَّى أَفْعَالِ الأَمْرِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (البقرة:٤٣)

كُلُّ هَذِهِ أَوَامِرُ مِنَ المولَى ﷻ إِلَى عِبَادِهِ وَعَلَيْهِم أَنْ يَلْتَزِمُوا بِهَا..

أَمَّا قَوْلُنَا: تَرْكُ المحْذُورِ، فَهُوَ أَنْ نَنْتَهِيَ عَمَّا نَهَانَا اللهُ عَنْهُ، وَهَذِهِ الأَفْعَالُ مُنْدَرِجَةٌ تَحْتَ مُسَمَّى الأَفْعَالِ المضَارِعَةِ المسْبُوقَةِ بِلا النَّاهِيَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ (النساء:٤٣) وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ

---

(١) أبو العتاهية: ١٣٠ - ٢١١، يعظ أمير الدنيا؛ هارون الرشيد.

منكم ﴾ (النساء:٢٩) وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (النساء:٢٩) وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان:١٣) وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (الإسراء:٣٢) كُلُّ هَذِهِ نَوَاهٍ أَتَتْ فِي قُرْآنِ رَبِّنَا، وَعَلَيْنَا أَنْ نَلْتَزِمَ بِهَا، فَكُنْ وَفِيًّا لله وَسَائِرًا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ، فَتَقْوَى الله سَبَبٌ لِحُبِّ الله لَكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران:٧٦) وَكَذَلِكَ الأَمْرُ بِالاجْتِنَابِ؛ فَالأَمْرُ بِالاجْتِنَابِ (فَاجْتَنِبُوهُ) أَبْلَغُ وَأَشَدُّ مِنَ الأَمْرِ بِالنَّهْيِ (لاَ تَفْعَلُوا كَذَا) قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائدة:٩٠) "وَيَدْخُلُ فِي التَّقْوَى أَيْضًا فِعْلُ الوَاجِبَاتِ وَتَرْكُ المحَرَّمَاتِ وَالشُّبُهَاتِ وَإِنْ شِئْتَ عَلَوْتَ فَفَعَلْتَ المنْدُوبَاتِ وَتَرَكْتَ المكْرُوهَاتِ"(١).

---

(١) راجع مجلة التوحيد عدد ربيع الأول ١٤٢٦هـ؛ لتستزيد من هذا المبحث المهم..

أَقْوَالٌ مُهِمَّةٌ عَنِ التَّقْوَى

١-عِنْدَمَا سُئِلَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ التَّقْوَى، فَقَالَ لِسَائِلِهِ: هَلْ أَخَذْتَ طَرِيقًا ذَا شَوْكٍ؟! فَقَالَ السَّائِلُ: نَعَمْ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ: فَكَيْفَ صَنَعْتَ؟! قَالَ: كُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ الشَّوْكَ جَاوَزْتُهُ، قَالَ: فَذَاكَ تَقْوَى الله ﷻ، وَفِي هَذَا المعْنَى أَنْشَدَ شَاعِرُنَا فَقَالَ:

خَلِّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا ... وَكَبِيرَهَا فَهُوَ التُّقَى[1]
وَاصْنَعْ كَمَاشٍ فَوْقَ أَرْضِ ... الشَّوْكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى
لاَ تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً ... إِنَّ الجَبَالَ مِنَ الحَصَى

٢-إِذًا تَقْوَى الله ﷻ: أَنْ يَجِدَكَ اللهُ حَيْثُ أَمَرَكَ، وَأَنْ يَفْتَقِدَكَ حَيْثُ نَهَاكَ.

٣-وَقَالَ طَلْقُ بنُ حَبِيبٍ: أَنْ تَعْمَلَ بِطَاعَةِ الله عَلَى نُورٍ مِنَ الله؛ تَرْجُو ثَوَابَ الله، وَأَنْ تَتْرُكَ مَعْصِيَةَ الله عَلَى نُورٍ مِنَ الله؛ تَخَافُ عِقَابَ الله.

٤-وقال ابْنُ القَيِّم (رَحِمَهُ اللهُ): أَنْ تَفْعَلَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ؛ إِيمَانًا بِالأَمْرِ وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ، وَأَنْ تَتْرُكَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ؛ إِيمَانًا بِالنَّهْيِ وَخَوْفًا مِنْ وَعِيدِهِ.

٥-وقال الإِمَامُ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ فِي إِيجَازٍ جَمِيلٍ: هِيَ تَرْكُ مَا تَهْوَى لِمَا تَخْشَى.

٦-وَقِيلَ: هِيَ عِلْمُ القَلْبِ بِقُرْبِ الرَّبِّ.

---

(١) ابن المعتز ٢٤٧ - ٢٩٦هـ.

٧-فَاسْأَلِ اللهَ التَّقْوَى: فَقَدْ كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ(١): «اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاهَـا» وَعِنْدَمَا سُئِلَ النَّبِيُّ(٢): مَـنْ أَكْـرَمُ النَّـاسِ؟! قَالَ: أَتْقَاهُمْ لله.

٨-قَالَ الشَّافِعِيُّ: "مَنْ لَمْ تُعِزَّهُ التَّقْوَى فَلاَ عِزَّ لَهُ"(٣).

٩-قَالَ ابنُ المنْكَدِرِ: "كَابَدْتُ نَفْسِي أَرْبَعِينَ عَامًا حَتَّى اسْتَقَامَتْ"(٤).

١٠ - وَمَا هَذَا الرَّجُلُ مِنَّا بِبَعِيدٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ ﷺ(٥): «أَنَّ رَجُلاً كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ اللَّهُ مَالاً(٦)، فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟! قَـالُوا: خَيْـرَ أَبٍ، قَـالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُـمَّ ذَرُّونِـي فِـي يَـوْمٍ عَاصِـفٍ فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟! قَالَ: مَخَافَتُكَ، فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ».

---

(١) (صحيح): مسلم ٢٧٢٢، الترمذي ٣٥٧٢، النسائي ٥٤٥٨.

(٢) (صحيح): البخاري ٣٣٥٣، مسلم ٢٣٧٨، أبو داود ٤٨٧٢، أحمد ٧٤٤٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٠/ ٩٧.

(٤) نفس المصدر السابق ٥/ ٣٥٥.

(٥) (صحيح): البخاري ٣٤٧٨، مسلم ٢٧٥٧، أحمد ١٠٧١٢.

(٦) رغسه مالا: وهبه مالا كثيرا.

مِنْ أَسْبَابِ إِحْبَاطِ العَمَلِ... فَاحْذَرْهَا؛ لِيَتَقَبَّلَ اللَّهُ أَعْمَالَكَ.

لَقَدْ حَرِصْتُ أَنْ أُنَبِّهَكَ عَلَيْهَا حَتَّى يَصِيرَ عَمَلُكَ طَيِّبًا حَسَنًا؛ فَاحْرِصْ -دَائِمًا- عَلَى أَنْ يَكُونَ عَمَلُكَ حَسَنًا؛ قَالَ سُلَيْمَانُ: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ (النمل: ١٩) تَرْضَاهُ أَيْ: تَتَقَبَّلُهُ بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَتَرْضَى عَنِّي؛ فَلاَ تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ الأَعْمَالِ؛ فَالمُهِمُّ أَنْ يَكُونَ العَمَلُ حَسَنًا؛ لِيَقْبَلَهُ اللهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (الملك: ٢) فَالأَعْمَالُ كَثِيرَةٌ؛ فَلاَ تَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ العَمَلِ، وَلَكِنِ المُهِمُّ فِي العَمَلِ أَنْ يَتَقَبَّلَهُ اللهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ (الكهف: ٣٠) فَكُنْ ذَا عَمَلٍ حَسَنٍ.

إِذَا أَتَى اللهُ يَوْمَ الحَشْرِ فِي ظُلَلٍ ... وَجِيءَ بِالأُمَمِ المَاضِينَ وَالرُّسُلِ (١)
وَحَاسَبَ الخَلْقَ مَنْ أَحْصَى بِقُدْرَتِهِ ... أَنْفَاسَهُم وَتَوَفَّاهُم إِلَى أَجَلِ
وَلَمْ أَجِدْ فِي كِتَابِي غَيْرَ سَيِّئَةٍ ... تَسُوءُنِي وَعَسَى الإِسْلامُ يَسْلَمُ لِي
رَجَوْتُ رَحْمَةَ رَبِّي وَهِيَ وَاسِعَةٌ ... وَرَحْمَةُ اللهِ أَرْجَى لِي مِنَ العَمَلِ

وَاحْذَرِ الشِّرْكَ وَالتَّأَلِّي عَلَى اللهِ وَالرِّيَاءَ؛ حَتَّى لاَ يَحْبِطَ اللهُ عَمَلَكَ؛ فَإِحْبَاطُ العَمَلِ يَكُونُ بِالشِّرْكِ بِاللهِ وَالدَّلِيلُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ

---

(١) ابن رشيق القيرواني ٣٩٠- ٤٦٣هـ.

وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] وَهُنَاكَ أُمُورٌ أُخْرَى مِنْهَا؛ التَّـأَلِّي عَـلَى اللهِ، بِـأَنْ تَقُـولَ لأَخِيكَ: إِنَّ اللهَ لَنْ يَغْفِرَ لَكَ؛ فَذُنُوبُكَ عَظِيمَـةٌ، لاَ..لاَ يَقُـولُ أَحَـدُنَا لأَخِيـهِ هَـذَا القَوْلَ: عَنْ جُنْدَبٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ حَدَّثَ[1]: «أَنَّ رَجُلاً قَالَ: وَاللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلان، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلان؟! فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلان وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ» وَكَذَلِكَ الرِّيَاءُ؛ وَهُوَ العَمَلُ الَّذِي لاَ يُقْصَـدُ بِـهِ وَجْـهُ اللهِ تَعَـالَى، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُـولُ[2]: «إِنَّ أَوَّلَ النَّـاسِ يُقْضَـى يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَـالَ: فَمَـا عَمِلْـتَ فِيهَـا؟! قَـالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ؛ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ؛ لأَنْ يُقَالَ جَـرِيءٌ فَقَدْ قِيـلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِـي النَّـارِ، وَرَجُـلٌ تَعَلَّـمَ الْعِلْـمَ وَعَلَّمَـهُ، وَقَـرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَـهُ فَعَرَفَهَـا، قَـالَ: فَمَـا عَمِلْـتَ فِيهَـا؟! قَـالَ: تَعَلَّمْـتُ الْعِلْـمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْـتَ الْعِلْـمَ؛ لِيُقَـالَ عَـالِمٌ، وَقَـرَأْتَ الْقُرْآنَ؛ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ؛ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِـهِ فَعَرَّفَـهُ نِعَمَـهُ فَعَرَفَهَـا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟! قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَـا إِلا أَنْفَقْتُ فِيهَـا

---

(١) (صحيح): مسلم ٢٦٢١.

(٢) (صحيح): أحمد ٨٠٧٨، مسلم ١٩٠٥، الترمذي ٢٣٨٢، النسائي ٣١٣٧.

لك، قَالَ: كذَبْتَ، وَلكِنّك فَعَلْتَ، لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أمر بِهِ فسُحب على وجْههِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

دَرْسَانِ عَمَلِيَّانِ فِي تَقْوَى اللَّهِ وَالبُعْدِ عَنِ الذُّنُوبِ..

إِنَّ الذُّنُوبَ سَبَبٌ عَظِيمٌ لِرَفْعِ البَرَكَةِ وَاسْتِجْلاَبِ العَذَابِ وَالبُعْدِ عَنْ رَبِّ الأَرْبَابِ؛ فَتَجَنَّبْهَا -أَيُّهَا المفضَالُ- قَدْرَاسْتِطَاعَتِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ يَسْتَجِيبُ لِلعَبْدِ إِذَا تَابَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالمعَاصِي؛ وَهَذَا مَا حَدَثَ مَعَ أَهْلِ نَيْنَوَى قَوْمِ يُونُسَ (عَلَيْهِ السَّلامُ)، لَمَّا خَالَفُوا أَمْرَهُ وَعَصَوْهُ وَأَبَوْا أَنْ يُؤْمِنُوا بِالله، قَالَ القُرْطُبِيّ: "إِنَّهُ أَقَامَ يَدْعُوهُم تِسْعَ سِنِينَ، فَيَئِسَ مِنْ إِيمَانِهِم، فَقِيلَ لَهُ: أَخْبِرْهُمْ أَنَّ العَذَابَ مُصَبِّحُهُم إِلَى ثَلاثٍ، فَفَعَلَ. وَقَالُوا: هُوَ رَجُلٌ لاَ يَكْذِبُ فَارْقُبُوهُ فَإِنْ أَقَامَ مَعَكُمْ وَبَيْنَ أَظْهُرِكُمْ فَلاَ عَلَيْكُم، وَإِنْ ارْتَحَلَ عَنْكُم فَهُوَ نُزُولُ العَذَابِ لاَ شَكَّ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ تَزَوَّدَ يُونُسُ وَرَحَلَ عَنْهُم، فَأَصْبَحُوا فَلَمْ يَجِدُوهُ فَتَابُوا وَدَعَوا اللهَ وَلبسُوا المسُوحَ وَفَرَّقُوا بَيْنَ الأُمَّهَاتِ وَالأَوْلاَدِ مِنَ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ، وَرَدُّوا المظَالِمَ فِي تِلْكَ الحَالَةِ، قَالَ ابنُ جُبَيْرٍ: غَشِيَهُمُ العَذَابُ كَمَا يَغْشَى الثَّوْبُ الجِسْمَ؛ فَلَمَّا صَحَّتْ تَوْبَتُهُم رَفَعَ اللهُ عَنْهُمُ العَذَابَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ [يونس/٩٨]"(١). فالتوبة مِنَ المسْتَحَبَّاتِ الَّتِي تُقَدَّمُ بَيْنَ يَدَي الدُّعَاءِ، وَإِلاَّ كَيْفَ يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ عَبْدٍ

---

(١) تفسير القرطبي ٨/ ٣٤٥

عَلَى المعَاصِي مُصِرٌّ؟!. فَهَذَا ذَنْبٌ وَاحِدٌ أَخْرَجَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ مِنَ الجَنَّةِ، فَمَا بَالُكَ بِكَثْرَةِ الذُّنُوبِ وَتَتَابُعِهَا؟!..

تَصِلُ الذُّنُوبَ إِلَى الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِي ... درجَ الجِنَانِ وَطِيبَ عَيْشِ العَابِدِ[1]
وَنَسِيتَ أَنَّ اللهَ أَخْرَجَ آدَمَ ... مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدِ

وَهَذَا دَرْسٌ آخَرُ ذَكَرَهُ ابنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَآءُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٦] امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ تُعْطِينَا دَرْسًا عَمَلِيًّا فِي التَّقْوَى، غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا، أَرْسَلَهُ الفَارُوقُ ﷺ لِنَشْرِ دِينِ اللهِ ﷻ وَمُوَاصَلَةِ الفُتُوحَاتِ..كَانَتْ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ المدِينَةِ دُونَ أَنِيسٍ أَوْ جَلِيسٍ، وَفِي ظُلْمَةِ الليْلِ البَهِيمِ وَضَعْفٍ شَدِيدٍ مِنْ نَفْسِهَا، تُنْشِدُ قَائِلَةً وَهِيَ تَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا لاَ يَسْمَعُهَا ..فَسَمِعَهَا عُمَرُ ﷺ وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِ تَفَقُّدُ أَحْوَالِ المسْلِمِينَ لَيْلاً.

لَقَدْ طَالَ هَذَا الليْلُ وَازْوَرَّ جانِبُهُ ... وَلَيْسَ إِلَى جَنْبِي خَلِيلٌ أُلاَعِبُهُ
فَوَاللهِ لَوْلاَ اللهُ أَنِّي أُرَاقِبُهُ ... لَحُرِّكَ مِنْ هَذَا السرِيرِ جَوَانِبُهُ
مَخَافَةُ رَبِّي والحَيَاءُ يصُدُّنِي ... وإِكرامُ بعْلِي أن تُنَالَ مَرَاكِبُهُ

قَالَ ابنُ قُدَامَةَ فِي المغْنِي: فَسَأَلَ عَنْهَا عُمَرُ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: هَذِهِ فُلانَةٌ؛ زَوْجُهَا

---

(١) محمد الوراق: ؟ - ٢٢٠هـ.

غَائِبٌ فِي سَبِيلِ الله، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا تَكُونُ مَعَهُ وَبَعَثَ إِلَى زَوْجِهَا فَأَقْفَلَهُ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّةُ.. كَمْ تَصْبِرُ المَرْأَةُ عَنْ زَوْجِهَا؟! فَقَالَتْ: سُبْحَانَ الله مِثْلُكَ يَسْأَلُ مِثْلِي عَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لَوْلاَ أَنِّي أُرِيدُ النَّظَرَ لِلْمُسْلِمِينَ مَاسَأَلْتُكِ، قَالَتْ: خَمْسَةَ أَوْ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فَوَقَّتَ لِلنَّاسِ فِي مَغَازِيهِم سِتَّةَ أَشْهُرٍ.. يَسِيرُونَ شَهْرًا، وَيُقِيمُونَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَيَسِيرُونَ رَاجِعِينَ شَهْرًا.

ولله دَرُّهُ الحَسَنُ البَصْرِيّ القَائِلُ: "المؤمِنُ يَعْمَلُ بِالطَّاعَاتِ وَهُوَ وَجِلٌ خَائِفٌ، وَالفَاجِرُ يَعْمَلُ بِالمعَاصِي وَهُوَ آمِنٌ"[1].. فَمَنْ خَافَ اللهَ فِي الدُّنيَا أَمَّنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ.. فَمَهْمَا أَنْجَزْتَ مِنْ عَمَلٍ فَلَنْ تَجِدَ لَهَا أَفْضَلَ مِنْ تَقْوَى الله؛ فَاحْرِصْ عَلَيْهَا..

---

(١) كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤).

اترك المعصية؛ يعوضك الله خيرًا منها !!

هَذَا البَابُ مِنَ الأَهَمِيَّةِ بِمَكَانٍ، وَآثَرْتُ أَنْ أَكْتُبَهُ قَبْلَ بَابِ (أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ تَقِيًّا فَمَاذَا أَفْعَلُ ؟! لِيَكُونَ تَوْطِئَةً لَهُ؛ وَتَهْيِئَةً لِمَا أَقُولُهُ فِيهِ، وَيُمْكِنُ أَنْ نُعَنْوِنَهُ -أَيْضًا- بِقَوْلِنَا: (مَنْ تَرَكَ شَيْئًا لله عَوَّضَهُ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ) فَالجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَشَرٌّ، وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧-٨].

وَإِذَا أَرَدْتُ مِثَالاً بَارِزًا عَلَى ذَلِكَ يُبَيِّنُ أَنَّهُ مَنْ تَرَكَ شَيْئًا عَوَّضَهُ خَيْرًا مِنْهُ، وَهُوَ سَيِّدُنَا يُوسُفُ صَاحِبُ أَحْسَنِ القَصَصِ فِي القُرْآنِ مَعَ امْرَأَةِ العَزِيزِ فَقَدْ رَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ، وَتَرَكَ المَعْصِيَةَ عَلَى الرَّغْمِ مَا اجْتَمَعَ لَهُ مِنْ دَوَاعِيهَا؛ فَرُبَّمَا اجْتَمَعَ لِيُوسُفَ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ لِغَيْرِهِ مِنْ سُهُولَةِ ارْتِكَابِهَا، وَلَرُبَّمَا لَوْ اجْتَمَعَ لِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ بَعْضُ مَا اجْتَمَعَ لِيُوسُفَ لأَجَابَ الدَّاعِيَ، وَارْتَكَبَ الفَاحِشَةَ، فَقَدْ كَانَ شَابًّا؛ وَالشَّبَابُ دَاعِيَةٌ إِلَى الزِّنَا، وَكَانَ عَزَبًا؛ فَلَيْسَ لَهُ مَا يَرُدُّ شَهْوَتَهُ، وَكَانَ غَرِيبًا؛ وَالغَرِيبُ فِي غُرْبَتِهِ ضَعِيفٌ؛ وَرُبَّمَا يُجِيبُ بِسُهُولَةٍ، وَخَاصَّةً إِجَابَةَ الأُمَرَاءِ؛ لِيَنَالَ رِضَاهُم، وَكَانَ مَمْلُوكًا فَلَيْسَ لَدَيْهِ وَازِعٌ كَوَازِعِ الحُرِّ، أَمَّا المَرْأَةُ فَكَانَتْ سَيِّدَتَهُ وَذَاتَ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ؛ وَالأُمُورُ مُهَيَّأَةٌ فِي وَقْتٍ غَابَ فِيهِ الرَّقِيبُ مِنَ البَشَرِ، وَقَدْ غَلَّقَتِ الأَبْوَابَ؛ وَدَعَتْهُ إِلَى جَسَدِهَا وَحَرَارَةِ شَهْوَتِهَا، وَحَرِصَتْ عَلَى ذَلِكَ بِقُوَّةٍ

السُّبُلِ وَتَوَعَّدَتْهُ بِالعَذَابِ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ بِهَا مَا تُرِيدُهُ، وَمَعَ كُلِّ هَذَا صَبَرَ؛ إِيثَارًا لِمَا عِنْدَ اللهِ، فَنَالَ السَّعَادَةَ فِي الدُّنيَا، وَأَصَابَتْهُ رَحْمَةُ رَبِّهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (يوسف:٥٦) فَلَقَدْ أَصْبَحَ السَّيِّدَ، وَامْرَأَةُ العَزِيزِ مَمْلُوكَةٌ عِنْدَهُ، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّهَا قَالَتْ: (سُبْحَانَ مَنْ صَيَّرَ المُلُوكَ بِذُلِّ المَعْصِيَةِ مَمَالِيكَ، وَمَنْ جَعَلَ المَمَالِيكَ بِعِزِّ الطَّاعَةِ مُلُوكًا) فَحَرِيٌّ بِالعَاقِلِ أَنْ يَتَبَصَّرَ الأُمُورَ، وَيَنْظُرَ فِي العَوَاقِبِ وَأَلاَّ يُؤْثِرُ اللذَّةَ الفَانِيَةَ عَلَى اللذَّةِ البَاقِيَةِ وَالجَنَّةِ الخَالِدَةِ..فَمَنْ تَرَكَ الدُّنيَا وَحُبَّ الظُّهُورِ وَالشُّهْرَةِ رَفَعَ اللهُ ذِكْرَهُ وَنَشَرَ فَضْلَهُ وَأَتَتْهُ الدّنيَا رَاغِمَةً وَالشُّهْرَةَ تُجَرِّرُ أَذْيَالَهَا.

١- فَمَنْ تَرَكَ مَسْأَلَةَ النَّاسِ وَرَجَاءَهُمْ وَإِرَاقَةَ مَاءِ الوَجْهِ أَمَامَهُمْ وَعَلَّقَ رَجَاءَهُ بِاللهِ دُونَ سِوَاهُ، وَعَوَّضَهُ خَيْرًا مِمَّا تَرَكَ؛ فَرَزَقَهُ حُرِّيَّةَ القَلْبِ وَعِزَّةَ النَّفْسِ وَالاسْتِغْنَاءَ عَنِ الخَلْقِ «... وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ»[1].

٢- وَمَنْ تَرَكَ الاعْتِرَاضَ عَلَى قَدَرِ اللهِ فَسَلَّمَ لِرَبِّهِ فِي جَمِيعِ أَمْرِهِ رَزَقَهُ اللهُ الرِّضَا وَاليَقِينَ وَأَرَاهُ مِنْ حُسْنِ العَاقِبَةِ مَالاَ يَخْطُرُ لَهُ بِبَالٍ.

---

(١) (صحيح): البخاري ١٤٦٩، مسلم ١٠٥٣، أبو داود ١٦٤٤، الترمذي ٢٠٢٤، النسائي ٢٥٨٨.

لا تَخْضَعَنَّ لِمَخْلُوقٍ عَلَى طَمَعٍ ... فَإِنَّ ذَلِكَ نَقْصٌ مِنْكَ فِي الدِّينِ[1]
لَنْ يَقْدِرَ العَبْدُ أَنْ يُعْطِيَكَ خَرْدَلَةً ... إِلا بِإِذْنِ الَّذِي سَوَّاكَ مِنْ طِينِ

٣- وَمَنْ تَرَكَ الذَّهَابَ لِلعَرَّافِينَ وَالسَّحَرَةِ رَزَقَهُ اللهُ الصَّبْرَ وَصِدْقَ التَوَكُّلِ وَتَحَقُّقَ التَّوْحِيدِ، وَجَنَّبَهُ الكُفْرَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ[2]: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» .

٤- وَمَنْ تَرَكَ التَّكَالُبَ عَلَى الدّنيَا جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدّنيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ .

٥- وَمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَلَزَمَ الصّدْقَ فِيمَا يَأْتِي وَيَذَرُ، هُدِيَ إِلَى البِرِّ، وَكَانَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا وَرُزِقَ لِسَانُ صِدْقٍ عِنْدَ النَّاسِ، فَسَوَّدُوهُ، وَأَكْرَمُوهُ وَاسْتَمَعُوا لِقَوْلِهِ.

٦- وَمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا ضُمِنَ لَهُ بَيْتٌ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ، وَسَلِمَ مِنْ شَرِّ المجَادَلَةِ غَيْرَ الهَادِفَةِ وَالخُصُومَةِ، وَحَافَظَ عَلَى صَفَاءِ قَلْبِهِ، وَأَمِنَ مِنْ كَشْفِ عُيُوبِهِ، قال رسول الله[3]: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ

---

(١) أبو العتاهية: ١٣٠ - ٢١١هـ.

(٢) (صحيح): أبو داود ٣٩٠٤، الترمذي ١٣٥، ابن ماجة ٦٣٩، صحيح سنن أبي داود ٤/ ١٥.

(٣) (حسن): أبو داود ٤٨٠٠، صحيح سنن أبي داود ٤/ ٢٥٣.

كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَه».

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَلِيمًا مِنَ الأَذَى ... وَدِينُكَ مَوْفُورٌ وَعِرْضُكَ صَيِّنُ[1]

فَلا يَنْطِقَنَّ مِنْكَ اللِّسَانُ بِسَوْأَةٍ ... فَكُلُّكَ سَوْءَاتٌ وَلِلنَّاسِ أَلْسُنُ

وَعَيْنُكَ إِنْ أَبْدَتْ إِلَيْكَ مَعَايِبًا ... فَصُنْهَا وَقُلْ: يَا عَيْنُ لِلنَّاسِ أَعْيُنُ

وَعَاشِرْ بِمَعْرُوفٍ وَسَامِحْ مَنِ اعْتَدَى ... وَدَافِعْ وَلَكِنْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

٧- وَمَنْ تَرَكَ الرِّبَا وَكَسْبَ الخَبِيثِ بِكُلِّ صُوَرِهِ بَارَكَ اللهُ فِي رِزْقِهِ، وَفَتَحَ لَهُ أَبْوَابَ الخَيْرَاتِ وَالبَرَكَاتِ وَالصَّدَقَاتِ وَتَقَبَّلَ اللهُ مِنْهُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[2]: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون:٥١] وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة:١٧٢]

---

(١) الشافعي: ١٥٠ - ٢٠٤هـ.

(٢) (صحيح): أحمد٢/ ٣٢٨، مسلم٢٣٤٣، الترمذي٢٩٨٩.

٨- وَمَنْ تَرَكَ البُخْلَ وَآثَرَ التَّكَرُّمَ وَالسَّخَاءَ أَحَبَّهُ النَّاسُ، وَاقْتَرَبَ مِنَ اللهِ وَالجَنَّةِ، وَسَلِمَ مِنَ الهَمِّ وَالغَمِّ وَضِيقِ الصَّدْرِ، وَتَرَقَّى فِي مَدَارِجِ الكَمَالِ وَمَرَاتِبِ الفَضِيلَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر ٩)

لَيْسَ الكَرِيمُ الَّذِي يُعْطِي عَطِيَّتَهُ ... عَنِ الثَّنَاءِ وَإِنْ أَغْلَى بِهِ الثَّمَنَا[1]
بَلِ الكَرِيمُ الَّذِي يُعْطِي عَطِيَّتَهُ لِغَيْرِ ... شَيْءٍ سِوَى اسْتِحْسَانِهِ الحَسَنَا
يَسْتَثِيبُ بِبَذْلِ العُرْفِ مَحْمَدَةً ... وَلاَ يَمُنُّ إِذَا مَا قَلَّدَ المِنَنَا

٩- وَمَنْ تَرَكَ الكِبْرَ وَلَزِمَ التَّوَاضُعَ كَمُلَ سُؤْدُدُهُ وَعَلاَ قَدْرُهُ، وَتَنَاهَى فَضْلُهُ، وَرَفَعَهُ رَبُّهُ إِلَى مَرْتَبَةٍ سَامِيَةٍ..

وَأَحْسَنُ أَخْلاَقِ الفَتَى وَأَجَلُّهَا ... تَوَاضُعُهُ لِلنَّاسِ وَهُوَ رَفِيعٌ
وَأَقْبَحُ شَيْءٍ أَنْ يَرَى المَرْءُ نَفْسَهُ ... رَفِيعًا لِلنَّاسِ وَهُوَ وَضِيعٌ

١٠- وَمَنْ تَرَكَ الانْتِقَامَ وَالتَّشَفِّي مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى ذَلِكَ عَوَّضَهُ اللهُ انْشِرَاحًا فِي الصَّدْرِ وَفَرَحًا فِي القَلْبِ، فَفِي العَفْوِ مِنَ الطُّمَأْنِينَةِ وَالسَّكِينَةِ وَالحَلاوَةِ وَشَرَفِ النَّفْسِ وَعِزِّهَا وَتَرَفُّعِهَا مَا لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهُ فِي المُقَابَلَةِ وَالانْتِقَامِ، قَالَ

---

(١) ابن الرومي: ٢٢١ - ٢٨٣هـ.

رَسُولُ الله [(١)]: «وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلاَّ عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلاَّ رَفَعَهُ اللَّهُ».

١١ - وَمَنْ تَرَكَ كَثْرَةَ الطَّعَامِ سَلِمَ مِنَ البِطْنَةِ وَسَائِرِ الأَمْرَاضِ؛ لأَنَّ مَنْ أَكَلَ كَثِيرًا شَرِبَ كَثِيرًا فَنَامَ كَثِيرًا فَخَسِرَ كَثِيرًا، فَعَلَيْكَ بِلُقَيْمَاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَكَ، قَالَ رَسُولُ الله [(٢)]: «بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ».

لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا جَزَاءً لِمُحسِنٍ إِذاً لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَعَاشٌ لِظَالِمِ
لَقَدْ جَاعَ فِيهَا الأَنْبِيَاءُ كَرَامَةً وَقَدْ شَبِعَتْ فِيهَا بُطُونُ البَهَائِمِ

١٢ - وَمَنْ تَرَكَ الغَضَبَ حَفِظَ عَلَى نَفْسِهِ عِزَّتَهَا وَكَرَامَتَهَا، وَنَأَى بِهَا عَنْ ذُلِّ الاعْتِذَارِ وَمَغَبَّةِ النَّدَمِ، وَدَخَلَ فِي زُمْرَةِ المُتَّقِينَ: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤] جَاءَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَوْصِنِي! قَالَ [(٣)]: «لا تَغْضَبْ».

---

(١) (صحيح): أحمد ٧١٦٥، مسلم ٢٥٨٨، الترمذي ٢٠٢٩.

(٢) (صحيح): أحمد ١٦٧٣٥، الترمذي ٢٣٨٠، ابن ماجة ٣٣٤٩، صحيح سنن ابن ماجة ٢/ ١١١١.

(٣) (صحيح): أحمد ١٦٧٣٥، صحيح الجامع.

١٣ - وَمَنْ تَرَكَ كَثْرَةَ الكَلاَمِ وَالوَقِيعَةَ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ وَالتَّعَرُّض لِعُيُوبِهِم وَمَغَامِزِهِم، وَحَفِظَهُمْ فِي غَيْبَتِهِمْ، وَتَجَنَّبَ الخَوْضَ فِي أَعْرَاضِهِمْ عُوِّضَ بِالسَّلاَمَةِ مِنْ شَرِّهِم وَرُزِقَ التَّصَبُّرُ فِي نَفْسِهِ، قَالَ الأَحْنَفُ بنُ قَيْسٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) : مَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ فِيمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ مَا لاَ يَعْلَمُونَ..

أَدّبتُ نَفْسِي فَمَا وَجَدْتُ لَهَا ... مِنْ بَعْدِ تَقْوَى الإِلَهِ كَالأَدَبِ(١)
فِي كُلِّ حَالاَتِهَا وَإِنْ كَرِهَتَ ... أَفْضَلُ مِنْ صَمْتِهَا عَنِ الكَذِبِ
وغيبَةِ الناس إنّ غيبَتَهُم ... حرّمها ذو الجلال في الكتُبِ
قلتُ لها طائعاً وأكرمُها ... الحلمُ والعلمُ زينُ ذي الحَسَبِ
إنْ كَانَ مِنْ فِضَّةٍ كَلامكَ يَا ... نَفْسُ فَإِنَّ السُّكُوتَ مِنْ ذَهَبِ

قَالَ الجَرَّاحُ الحَكَمِيُّ: "تَرَكْتُ الذُّنُوبَ حَيَاءً أَرْبَعِينَ سَنَةً ثُمَّ أَدْرَكَنِي الوَرَعُ"(٢).

---

(١) عبد الله بن المبارك ١١٨ - ١٨١هـ.

(٢) راجع سير (أعلام النبلاء).

١٤- وَمَنْ تَرَكَ مُجَارَاةَ السُّفَهَاءِ وَأَعْرَضَ عَنِ الجَاهِلِينَ حَمَى عِرْضَهُ، وَاشْتَغَلَ بِعُيُوبِ نَفْسِهِ وَإِصْلاَحِ الخَلَلِ فِيهَا فَقَدْ أَرَاحَ نَفْسَهُ، وَسَلِمَ مِنْ سَمَاعِ مَا يُؤْذِيهِ:

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف ١٩٩]

المَرْءُ إِنْ كَانَ مُؤْمِنًا وَرِعًا ... أَشْغَلَهُ عَنْ عُيُوبِ الوَرَى وَرَعُهُ
كَمَا السَّقِيمُ العَلِيلُ أَشْغَلَهُ ... عَنْ وَجَعِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَجَعُهُ

١٥- وَمَنْ تَرَكَ قَطِيعَةَ أَرْحَامِهِ فَوَصَلَهُم وَتَوَدَّدَ إِلَيْهِمْ وَاتَّقَى اللهَ فِيهِمْ بَسَطَ اللهُ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَنَسَأَ لَهُ فِي إِثْرِهِ، وَلاَ يَزَالُ مَعَهُ ظَهِيرٌ مِنَ الله مَادَامَ عَلَى تِلْكَ الصِّلَةِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(١): «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

١٦- وَمَنْ تَرَكَ العبُوسَ وَالتَّقْطِيبَ وَاتَّصَفَ بِالبِشْرِ وَالطَّلاَقَةِ لاَنَتْ عَرِيكَتُهُ وَكَثُرَ مُحِبُّوهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ (٢): «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ».

١٧- وَمَنْ تَرَكَ الغشَّ فِي بَيْعِهِ وَشِرَائِهِ وَجَمِيعِ أُمُورِهِ زَادَتْ ثِقَةُ النَّاسِ بِهِ، وَرَفَعَهُ اللهُ إِلَى مَرْتَبَةٍ حَسَنَةٍ فِي الجَنَّةِ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ».

---

(١) (صحيح): البخاري ٥٩٨٦، مسلم ٢٥٥٧، أبو داود ١٦٩٣.

(٢) (صحيح): الترمذي ١٩٥٦، صحيح سنن الترمذي ٤/ ٣٣٩.

١٨ -وَمَنْ تَرَكَ المَاطَلَةَ فِي الدَّيْنِ أَعَانَهُ اللهُ وَسَدَّدَ عَنْهُ، وَلَمْ يُتْلِفْ مَالَهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ (١): «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّاهَا اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».

١٩ -وَمَنْ تَرَكَ الدَّعَةَ وَالكَسَلَ وَأَقْبَلَ عَلَى الجِدِّ وَالعَمَلِ عَلَتْ هِمَّتُهُ وَبُورِكَ لَهُ فِي وَقْتِهِ فَنَالَ الخَيْرَ الكَثِيرَ فِي الزَّمَنِ اليَسِيرِ قَالَ الشَّاعِرُ:

وَمَنْ هَجَرَ اللَّذَّاتِ نَالَ المُنَى ... أَكَبَّ عَلَى اللَّذَّاتِ عَضَّ عَلَى اليَد

إِذًا لِلشَّهَوَاتِ سُلْطَانٌ عَلَى النُّفُوسِ، وَتَمَكُّنٌ مِنَ القُلُوبِ؛ لِذَا فَتَرْكُهَا عَزِيزٌ، وَالخَلاصُ مِنْهَا عَسِيرٌ، وَلَكِنْ مَنِ اتَّقَى اللهَ كَفَاهُ، وَادْعُ اللهَ؛ فَإِنَّ اللهَ يَسْمَعُ مَنْ نَادَاهُ، وَمَنْ سَأَلَ اللهَ بِصِدْقٍ كَشَفَ عَنْهُ بَلْوَاهُ وَحَمَاهُ وَوَقَاهُ، وَحَقَّقَ لَهُ سُؤْلَهُ وَمُنَاهُ، وَمَنِ اسْتَعَانَ بِهِ أَعَانَهُ قَالَ اللهُ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (الطلاق ٣)

وَتَحَلَّ بِفَضَائِلِ الأَخْلاقِ؛ وَهِيَ كَثِيرَةٌ مِثْلُ الصَّبْرِ وَالأَمَانَةِ وَلُزُومِ العِبَادَةِ بِأَنْوَاعِهَا، وَاجْعَلْهَا خَالِصَةً للهِ تَعَالَى..

---

(١) (صحيح): أحمد ٨٥١٦، البخاري ٢٣٨٧، ابن ماجة ٢٤١١.

إذَا أَصَابَتْكَ نَكْبَـةٌ فَاصـبِرْ لَهَـا ... مَـنْ ذَا رَأَيْـتَ مُسـلِمًا لا يُنْكَـبُ[١]

وَارْعَ الأَمَانَـةَ وَالخِيَانَـةَ فَاجتَنِـبْ ... وَاعْدَلْ وَلا تَظْلِم يَطِبْ لَكَ مَكْسَبُ

وَلَقَد نَصَحْتُكَ إنْ قَبِلتَ نَصِيحَتِي ... وَالنُّصـحُ أغـلَى مَـا يُبَـاعُ وَيُوهَـبُ

وَأَمَّا مَنْ تَرَكَ الرَّذَائِـلَ مُخْلِصًـا لله فَإِنَّـهُ لاَ يَجِـدُ فِي تَرْكِهَـا مَشَـقَّةً إلاَّ أَوَّلَ وَهْلَـةٍ؛ لِيَمْتَحِنَهُ اللهَ، أَصَادِقٌ فِي تَرْكِهَا أَمْ كَاذِبٌ فَإِنْ صَبَرَ عَلَى المَشَقَّةِ اسْتَحَالَتْ لَذَّةً، فَـمَا بَعْدَ المشَقَّةِ إلا التَّيْسِيرُ، فَكُلَّمَا زَادَتِ الرَّغْبَةُ فِي الشَّيْءِ المحَـرَّمِ وَكَثُـرَتْ الـدَّوَاعِي لِلوُقُوعِ فِيهِ عَظُمَ الأَجْـرُ فِي تَرْكِـهِ، وَتَضَـاعَفَتِ المثُوبَـةُ فِي مُجَاهَـدَةِ الـنَّفْسِ عَـلَى الخَلاصِ مِنْهُ، إذًا... مَنْ تَرَكَ شَيْئًا لله عَوَّضَهُ اللهُ خَيْرًا مِنْهُ.. أَلَيْس كَـذَلِكَ؟! قُـلْ: بَلَى، وَاعْمَلْ جَاهِدًا أَنْ تَكُونَ أَحَدَ هَؤُلاَءِ السَّبَعَةِ؛ حَتَّى يُظِلَّكَ اللهُ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ[٢]: "قَالَ سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ؛ يَوْمَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ؛ إمَامٌ عَـادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَانَ قَلْبُهُ مُعَلَّقًا بِالْمَسْجِدِ؛ إذا خَـرَجَ مِنْـهُ حَتَّـى يَعُـودَ إلَيْهِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ؛ فَاجْتَمَعَا عَلَـى ذَلِـكَ وَتَفَرَّقَـا، وَرَجُـلٌ ذَكَـرَ اللَّـهَ خَالِيًـا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ حَسَبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا؛ حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ".

---

(١) صالح بن عبد القدوس: ؟- ١٦٠هـ.

(٢) (صحيح): البخاري ٦٦٠، مسلم ١٠٣١، النسائي ٥٣٨٠، أحمد ٩٣٧٣، مالك ١٧٧٧.

أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ تَقِيًّا... فَمَاذَا أَفْعَلُ؟!

فَهَذَا هُوَ السُّؤَالُ، وَغَايَةُ الآمَالِ؛ وَالسَّبَبُ الموَصِّلُ لِرَحْمَةِ الله الكَبِيرِ المتَعَالِ، وَقَبْلَ أَنْ أُجِيبَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ بِمَشِيئَةِ الله أُذَكِّرُكَ وَنَفْسِي بِهَذَا الحَدِيثِ، قَالَ رَسُولُ الله(1): إِنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟! فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ!! فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي؛ فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا!.. كُلُّ هَذَا الرِّضَا سَبَبُهُ طَاعَةُ الله، وَطَاعَةُ رَسُولِ الله! أَيُّهَا الحَبِيبُ: سَيَأْتِي عَلَيْكَ يَوْمٌ يَقُولُ رَبُّكَ لَكَ: هَلْ رَضِيتَ؟! وَكَأَنَّهُ يَقُولُ لَكَ: لَقَدْ خَلَقْتُكَ وَسَوَّيْتُكَ وَسَدَّدْتُكَ وَوَفَّقْتُكَ وَهَدَيْتُكَ؛ فِي وَقْتٍ ضَلَّ فِيهِ المَلايِينَ، وَابْتَلَيْتُكَ فَصَبَّرْتُكَ وَأَرْضَيْتُكَ، وَثَبَّتُكَ عَلَى الحَقِّ حَتَّى مِتَّ عَلَيْهِ، وَحَاسَبْتُكَ حِسَابًا يَسِيرًا، ثُمَّ أَدْخَلْتُكَ الجَنَّةَ بِسَلامٍ، ثُمَّ رَأَيْتَ وَجْهَ الله، وَهَذَا أَقْصَى مَا تَتَمَنَّاهُ؛ فَمَاذَا تُرِيدُ بَعْدَ هَذَا الفَضْلِ المبِينِ؟! فَتُبْ إِلَى الله؛ وَابْدَأْ مِنْ جَدِيدٍ وَلاَ تَيْأَسْ؛ فَإِنَّ العَبْدَ يُذْنِبُ الذَّنْبَ ثُمَّ يَظُنُّ أَنَّ ذَنْبَهُ لَنْ يُغْفَرَ؛ وَمِنْ ثَمَّ يَقَعُ فِي الهَلَكَةِ وَالعِيَاذُ بِالله، وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّ العِزَّةِ

---

(١) (صحيح): البخاري ٦٥٤٩، مسلم ١٨٣، الترمذي ٢٥٥٥، أحمد ١١٤٠٨.

قَالَ(١): «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا؛ فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ».

فَالحَدِيثُ لاَ يَفْتَحُ بَابَ الجُرْأَةِ عَلَى اللهِ؛ بَلْ يَفْتَحُ لَكَ بَابَ الرَّجَاءِ فِي اللهِ، وَالحَدِيثُ لاَ يَمْلأُ قُلُوبَنَا بِالتَّجَرُّؤِ عَلَى العِصْيَانِ؛ عِصْيَانِ رَبِّ الأَنَامِ؛ بَلْ يَمْلأُ قُلُوبَنَا بِالحُبِّ لَهُ وَالإِقْبَالِ عَلَيْهِ وَالخَوْفِ مِنْهُ وَالتَّوْبَةِ إِلَيْهِ؛ فَتُبْ إِلَى اللهِ ثُمَّ اعْمَلْ صَالِحًا تُبْعَثْ آمِنًا يَوْمَ يَفْزَعُ النَّاسُ جَمِيعًا، قَالَ اللهُ ﷻ ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل٨٧] فَمُجَرَّدُ نِقَاشِ الحِسَابِ عَذَابٌ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(٢): «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ» يَوْمَ أَنْ تَقِفَ بَيْنَ يَدَيْ مَوْلاكَ فَيُذَكِّرُكَ بِأَعْمَالِكَ فَتَتَذَكَّرُهَا: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر٢٣-٢٤] وَإِنَّنِي مَا فَعَلْتُهُ إِلاَّ مِنْ بَابِ تَبْلِيغِ الخَيْرِ

---

(١) (صحيح): البخارى ٧٥٠٧، مسلم ٢٧٥٨، أحمد ٧٨٨٨.

(٢) (صحيح): البخارى ٦٥٣٦، مسلم ٢٨٧٦، أبو داود ٣٠٩٣، الترمذى ٢٤٢٦.

وَنَشْرِ العِلْمِ؛ حَيْثُ قَالَ النَّبِي [(١)] : «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَـةً». فَفِي هَـذَا الحَـدِيثِ تَكْلِيـفٌ وَتَشْرِيفٌ وَتَخْفِيفٌ؛ تَكْلِيفٌ بِالتَّبْلِيغِ، وَتَشْرِيفٌ؛ لأَنَّنِي أَنْقُلُ عَنِ النَّبِيِّ، وَالنَّبِيُّ هُـوَ المبَلِّغُ عَنْ رَبِّهِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (المائدة:٦٧) فَأَيُّ شَرَفٍ هَذَا! أَنْ أَسِيرَ عَلَى نَهْجِهِ، وَأَنْ أَقْتَفِي أَثَـرَهُ، وَأَنْ أُخْبِرَ عَنْهُ حَتَّى أَلْقَى اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَتَخْفِيفٌ؛ لأَنَّنِي أُبَلِّغُ وَلَوْ شَيْئًا يَسِيرًا آيَـةً أَوْ حَدِيثًا؛ رُبَّمَا يَكُونُ أَحَدُهُمَا أَوْ هُمَا مَعًا سَبَبًا فِي هِدَايَةِ رَجُـلٍ وَاحِـدٍ، وَأَحْسِـنْ دَائِـمًا حَتَّى يُحْسِنَ اللهُ إِلَيْكَ، فَـالجَزَاءُ مِـنْ جِـنْسِ العَمَـلِ؛ اقْـرَأْ مَـا شِـئْتَ قَـوْلَ رَبِّـكَ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ (المائدة:٦٤) وَكَذَلِكَ: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة:١٢٧) «مَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»[(٢)] فَاعْتَرِفْ بِذَنْبِكَ قَبْلَ أَنْ تَسْتَغْفِرَ رَبَّكَ، وَأَكْثِرْ مِنْ هَذَا الدُّعَاءِ المبَارَكِ الَّذِي كَانَ يَدْعُو بِهِ رَسُولُ اللهِ؛ لَعَلَّهُ يَكُونُ مِنْ حَظِّكَ[(٣)]: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهْدِ البَلاءِ وَدَرْكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ

---

(١) (صحيح): أحمد ٦٤٤٢، البخاري ٣٤٦١، الترمذي ٢٦٦٩.

(٢) (صحيح): الترمذي ١٣٠٦، ابن ماجة ٢٤١٧، صحيح سنن ابن ماجة ٢/ ٨٠٨.

(٣) (صحيح): البخاري ٦٣٤٧، مسلم ٢٧٠٧، النسائي ٥٤٩١.

الأعْداءِ»[١]. فَمَا أَجْمَلَ دُعَاءَ النَّبِيِّ! فَاتَّبِعِ النَّبِيَّ، رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَاهْدِنِي السَّبِيلَ الأَقْوَمَ؛ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعَزُّ الأَكْرَمُ. هَذَا فَقَطَ مُجَرَّدُ تَذَكُّرٍ فَمَا بَالُكَ بِالعِتَابِ؟! أَيْ: لِمَاذَا فَعَلْتَ هَذِهِ السَّيِّئَاتِ؟! أَلَمْ يَنْهَكَ رَبُّكَ عَنْهَا؟! أَنْتَ لاَ تَحْتَمِلُ نِقَاشَ الحِسَابِ، فَهَلْ سَتَحْتَمِلُ العِتَابَ؟! فَمَا بِالُكَ بِالعَذَابِ وَغَضَبِ رَبِّ الأَرْبَابِ؟! لاَ.. لاَ أَنْتَ لاَ تَحْتَمِل...إِذَا كَانَ سَيِّدُنَا مُوسَى عليه السلام عِنْدَمَا طَلَبَ رُؤْيَةَ رَبِّهِ-وَكَانَ اللهُ رَاضِيًا عَنْهُ-فَتَجَلَّى رَبُّهُ لِلجَبَلِ فَجَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف١٤٣]. وَمَا أَدْرَاكَ مَنْ مُوسَى عليه السلام؟! نَبِيُّ اللهِ الكَلِيمُ الَّذِي قَالَ اللهُ لَهُ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه٣٩] صُعِقَ سيِّدُنَا مُوسَى عليه السلام-وَهُوَ أعظَمُ الأَنْبِيَاءِ ذِكْرًا وَتكْرَارًا فِي القُرْآنِ-وقْتَ رِضَا الله، فَمَا بَالُكَ إذَا غَضِبَ اللهُ؟! فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ الكَوْنَ كُلَّهُ لَكَ-أَيُّهَا الإِنْسَانُ- فَكُلُّ شَيْءٍ فِي الكَوْنِ مُسَخَّرٌ وَمَخْلُوقٌ؛ لِخِدْمَتِكَ، قَالَ اللهُ

(١) جَهْدُ البَلاء: كُلُّ ما أصاب الإنسانَ من شدَّةِ المشقَّة، وما لا طاقة لَهُ بِهِ بِحَمْلِهِ، وَلا قُدرةَ لَهُ عَلَى دَفْعِهِ، دَرَكُ الشَّقَاء: شدَّةُ المشقَّة في أمور الدُّنيا، وحُصُول الضَّرر البالغ في الأهل والمال والبدن، سُوءُ القَضَاء: كلُّ ما يَسُوءُ الإنسانَ ويُحْزِنُهُ منَ الأقْضِيَة الواقعةِ عليه؛ المقدَّرَةِ لَهُ، شَمَاتَة الأعداء: فرح الأعداءِ بما يقعُ عليكَ من المكرُوهِ وينزِلُ بكَ منَ المحَنِ..

تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٩]

أَمَّا أَنْتَ فَلِمَنْ خُلِقْتَ؟! خُلِقْتَ لِعِبَادَةِ الله الوَاحِدِ الأَحَدِ، يَقُولُ ابنُ القَيِّم :إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ الكُتُبَ السَّمَاوِيَّةَ، وَجَمَعَ الكُتُبَ السَّمَاوِيَّةَ فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ وَهُوَ القُرْآنُ، وَجَمَعَ القُرْآنَ فِي سُورَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِي الفَاتِحَةُ، وَجَمَعَ الفَاتِحَةَ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] فَأَنْتَ مَخْلُوقٌ؛ لِلعِبَادَةِ، وَغَايَةُ العِبَادَةِ التَّقْوَى.. وَهَذَا هُوَ الهَدَفُ الأَسْمَى وَالعَظِيمُ مِنْ خَلْقِ الإِنْسَانِ وَالغَايَةُ مِنَ التَّقْوَى دُخُولُ الجَنَّةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم:٦٣]

بَعْدَ كُلِّ هَذَا أَعْتَقِدُ أَنَّكَ إِذَا عَصَيْتَ رَبَّكَ وَأَغْضَبْتَهُ، فَمَاذَا أَقُولُ لَكَ؟! سَتُحْرَمُ مِنْ كُلِّ هَذَا فَضْلاً عَنِ العَذَابِ، فَعَلَيْكَ أَنْ تُصَابِرَ عَلَى الطَّاعَةِ؛ لأَنَّ الطَّاعَةَ فِيهَا أَمْرَانِ: الأَوَّلُ فِعْلٌ يَتَكَلَّفُ بِهِ الإِنْسَانُ، وَيُلْزِمُ نَفْسَهُ بِهِ، وَالأَمْرُ الثَّانِي: فِعْلُ الطَّاعَاتِ فِيهِ ثِقَلٌ عَلَى النَّفْسِ؛ فَفِعْلُ الطَّاعَةِ مِثْلُ تَرْكِ المعْصِيَةِ، وَكِلا الأَمْرَيْنِ ثَقِيلٌ عَلَى النُّفُوسِ الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ؛ لِهَذَا كَانَ الصَّبْرُ عَلَى الطَّاعَةِ أَفْضَلَ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى المعْصِيَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠] فَصَابِرْ كَأَنَّ أَحَدًا يُصَابِرُكَ كَمَا يُصَابِرُ الإِنْسَانُ عَدُوَّهُ فِي

القِتَالِ وَالجِهادُ فَأَيُّهما أَشَدُّ صَبْرًا؟!، وَأَمَّا المرَابَطَةُ فَهِيَ كَثْرَةُ الخَيْرِ وَالاسْتِمْرَارُ عَلَيْهِ، قَالَ النَّبيُّ(١): «ألا أدُلُّكُمْ على ما يَمْحُو اللهُ بهِ الخطَايا ويَرْفعُ بهِ الدَّرجَاتِ، قَالُوا: بَلى يَا رَسُولَ اللهِ، قالَ: إسْبَاغُ الوُضوءِ على المكَارهِ، وكَثْرةُ الخُطَا إلى المسَاجدِ، وانْتِظارُ الصَّلاةِ بعْدَ الصَّلاةِ؛ فذلكُمْ الرِّبَاطُ» فَفِيهِ اسْتِمْرَارٌ فِي الطَّاعَةِ وَالمدَاوَمَةُ عَلَى فِعْلِهَا، وَالتَّقْوَى تَشْمَلُ ذَلِكَ كُلَّهُ؛ حَيْثُ خَتَمَ اللهُ الآيَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فَالفَلاحُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ تَدُورُ عَلَى شَيْئَيْنِ: حُصُولِ المطْلُوبِ وَالنَّجَاة مِنَ المرْهُوبِ، فَمَنِ اتَّقَى اللهَ حَصلَ لَهُ مَطْلُوبُهُ، وَنَجَا مِنْ مَرْهُوبِهِ، قَالَ نَبِيُّ اللهِ مُوسَى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه٨٤] فَإِنَّ العَجَلَةَ إِلَى الصَّالِحَاتِ مَحْمُودَةٌ؛ حَتَّى يَقِيَكَ اللهُ النَّارَ، قَالَ اللهُ فِي شَأْنِ الصِّدِّيقِ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى﴾ [الليل١٧] فَتَأْتِيهِ البِشَارَةُ مِنَ اللهِ؛ إِنَّهَا لَمَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ؛ فَهُوَ الوَحِيدُ المَوْصُوفُ بِهَذَا الوَصْفِ الجَمِيلِ (التَّقْوَى) فِي القُرْآنِ، فَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق مِنْ أَتْقَى النَّاسِ.

---

(١) (صحيح): أحمد ٧١٦٨، مسلم ٢٥١، الترمذي ٥١، النسائي ١٤٣.

أمورٌ ثلاثةٌ تجعلُكَ تقيًّا.... فما هيَ ؟!

١- المداومةُ على العباداتِ أينما كُنتَ.

بِدَايَةً عَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ أَمْرٌ أَمَرَ اللهُ بِهِ فِي القُرْآنِ إِلاَّ وَهُوَ فِي مَقْدُورِ العَبْدِ أَنْ يَفْعَلَهُ وَلَيْسَ هُنَاكَ نَهْيٌ فِي القُرْآنِ إِلاَّ وَهُوَ فِي إِمْكَانِ العَبْدِ أَنْ يَنْتَهِيَ عَنْهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ (البقرة:٢٨٦) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (الطلاق:٧) وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ هُمَا العِبَادَةُ مَعَ التَّوْحِيدِ الخَالِصِ لِلمَوْلَى فَهَذِهِ الأُمُورُ هِيَ الَّتِي تُشَكِّلُ العِبَادَةَ الصَّحِيحَةَ لِرَبِّ العَالَمِينَ، فَكُنْ عَبْدًا للهِ، وَاسْتَمِعْ إِلَى نِدَاءِ الحَقِّ، وَلاَ تَكُنْ مِنَ المعْرِضِينَ..

يَا نَفْسُ وَيْحَكِ قَدْ أَتَاكِ هُدَاكِ ... أَجِيبِي فَدَاعِي الحَقِّ قَدْ نَادَاكِ
كَمْ قَدْ دُعِيتِ إِلَى الرَّشَادِ فَتُعْرِضِي ... وَأَجَبْتِ دَاعِيَ الغَيِّ حِينَ دَعَاكِ

وَحَقِّقْ العُبُودِيَّةَ قَدْرَ اسْتِطَاعَتِكَ أَيْنَمَا كُنْتَ، فِي أَيِّ مَكَانٍ تَذْهَبُ إِلَيْهِ، ثُمَّ مُتْ فِي أَيِّ مَكَانٍ شَاءَ اللهُ لَكَ أَنْ تَمُوتَ فِيهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ

الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (العنكبوت:٥٦-٥٩) فَذَكَرَ الْمَوْتَ بَعْدَ الهِجْرَةِ وَالسِّيَاحَةِ فِي الْبُلْدَانِ طَلَبًا لِلعِبَادَةِ، وَلْنَأْخُذْ مِثَالاً عَلَى ذَلِكَ حَدَثَ لأَحَدِ الصَّحَابَةِ؛ وَهُوَ الصَّحَابِيُّ ضَمْرَةُ بنُ جُنْدُب ﷺ والَّذِي فَازَ بِأَجْرٍ عَظِيمٍ، عِنْدَمَا خَرَجَ مُهَاجِرًا - وَهُوَ الرَّجُلُ المُسِنُّ حَيْثُ كَانَ عُمْرُهُ وَقْتَهَا يُنَاهِزُ الثَّمَانِينَ عَامًا قَالَ لأَهْلِهِ: أَخْرِجُونِي مِنْ أَرْضِ الْمُشْرِكِينَ، وَاحْمِلُونِي إِلَى أَرْضِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ مَاتَ فِي الطَّرِيقِ قَبْلَ أَنْ يَلْحَقَ بِالنَّبِيِّ ﷺ ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِ قُرْآنًا: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء:١٠٠) وَهَنِيئًا لَهُ بِشَارَةً أُخْرَى مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَيْثُ مَاتَ رَجُلٌ بِالمَدِينَةِ مِمَّنْ وُلِدَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ(١): «يَا لَيْتَهُ مَاتَ بِغَيْرِ مَوْلِدِهِ، قَالُوا: وَلِمَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ ﷺ : إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَاتَ بِغَيْرِ مَوْلِدِهِ قِيسَ لَهُ مِنْ مَوْلِدِهِ إِلَى مُنْقَطَعِ أَثَرِهِ فِي الجَنَّةِ». فَالمُؤْمِنُ يَزْرَعُ وَيَخْشَى الكَسَادَ، وَالمُنَافِقُ يَخْلَعُ وَيَرْجُو الحَصَادَ!..

أَيَا ابْنَ آدَمَ لاَ يَغْرُرْكَ عَافِيَةٌ ... عَلَيْكَ صَافِيَةٌ فَالعُمْرُ مَعْدُودٌ
مَا أَنْتَ إِلاَّ كَزَرْعٍ عِنْدَ خُضْرَتِهِ ... بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الآفَاتِ مَحْصُودٌ
فَإِنْ سَلِمْتَ مِنَ الآفَاتِ أَجْمَعِهَا ... فَأَنْتَ عِنْدَ كَمَالِ الأَمْرِ مَحْصُودٌ

---

(١) (حسن) ابن ماجة ١٦١٤، النسائي ١٨٢٣، صحيح الجامع ١٦١٦.

فَالطَّرِيقُ بِهِ أَشْوَاكٌ، وَمَا أَكْثَرَ الأَشْوَاكَ بِهِ!! وَكَمْ مِنْ أَشْوَاكٍ فِي طَرِيقِنَا! فَالْزَمْ طَرِيقَ الصَّالِحِينَ، واتَّقِ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ فِي كُلِّ أَحْوَالِكَ، وَفِي أَيِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ؛ أَنْ تَكُونَ عَبْدًا تَقِيًّا لِمَوْلاكَ؛ فَلاَ يَضُرُّكَ أَيْنَ ذَهَبْتَ؟! وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ؟! مُتْ فِي أَرْضِ الكُفْرِ وَلَكِنْ عَلَى طَاعَةٍ؛ وَلاَ تَمُتْ فِي أَرْضِ الإِسْلامِ وَأَنْتَ عَلَى كُفْرٍ وَضَلالٍ؛ فَالرُّوحُ وَاحِدَةٌ تَخْرُجُ فِي أَيِّ مَكَانٍ وَفِي أَيَّةِ لَحْظَةٍ إِذَا أَذِنَ اللهُ لَهَا بِالخُرُوجِ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَمْنَعُهَا؟! لَنْ يَسْتَطِيعَ إِنْسِيٌّ أَوْ جِنِّيٌّ أَنْ يُؤَخِّرَ أَوْ يُقَدِّمَ خُرُوجَهَا، فَالَّذِي يَهُمُّكَ أَنْ تَمُوتَ عَلَى طَاعَةٍ وَتَوْبَةٍ وَاسْتِغْفَارٍ وَتَوْحِيدٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُ مِنْكَ عَمَلَكَ الصَّالِحَ فِي أَيِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ، فِي رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ أَوْ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، فَلاَ تَفْتُرْ وَلاَ تَكْسَلْ، فَاجْعَلْ هَمَّكَ كُلَّهُ رُؤْيَةَ رَبِّ الأَنَامِ وَالشَّوْقَ لِلِقَاءِ رَسُولِ اللهِ سَيِّدِ الأَنَامِ، وَصَحَابَتِهِ المَيَامِينِ عَلَيْهِمْ الرِّضْوَانُ، وَمِنْ بَعْدَ ذَلِكَ الخُلُودُ فِي الجِنَانِ، فَالأَمْرُ قَبْلَ الحِسَابِ أَمْرَانِ؛ الأَوَّلُ:أَمْرُ الدِّينِ فَانْظُرْ فِيهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْكَ فِيهِ، فَكُلَّمَا عَلَوْتَ فِيهِ وَصَلْتَ بِسَلامٍ إِلَى رَبِّ العَالَمِينَ، وَالثَّانِي: وَأَمْرُ دُنْيَا فَانْظُرْ فِيهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَقَلُّ مِنْكَ فِيهِ، وَالمُوَصِّلُ إِلَى ذَلِكَ الكَثْرَةُ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَلُزُومُ فِعْلِ الخَيْرَاتِ، فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ، وَاجْعَلْ هَذَا الشِّعَارَ أَمَامَكَ: حَيِّ عَلَى الجَنَّةِ، حَيِّ عَلَى الجَنَّةِ، فِي أَيِّ مَكَانٍ تَذْهَبُ إِلَيْهِ تَفُزْ بِهَا.

قُلْ لِلَّـذِي تَـاهَ فِي الـدُّنيَا مُفْتَخِـرًا ضَاعَ افْتِخَارُكَ بَيْنَ المَاءِ وَالطِّينِ(١)
إِذَا تَفَقَّـدتَ فِي الأَجْـدَاثِ مُعْتَـبِرًا هُنَـاكَ تَنْظُـرُ تِيجَـانَ السَّـلاطِينِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧].

٢- مَحَبَّةُ الله

عَلَيْكَ بِمَحَبَّةِ الله؛ فَمَحَبَّةُ الله إِذَا غَلَبَتْ عَلَى قَلْبِ العَبْدِ فَإِنَّهُ يُضَحِّي فِي سَبِيلِهَا بِكُلِّ مَرْغُوبٍ؛ فَالمَحَبَّةُ شَجَرَةٌ فِي القَلْبِ؛ عُرُوقُهَا الذُّلُّ، وَأَغْصَانُهَا خَشْيَتُهُ، وَوَرَقُهَا هُوَ الحَيَاءُ مِنْهُ، وَثَمَرَتُهَا المحَبَّةُ، وَمَادَّتُهَا الَّتِي تَسْقِيهَا ذِكْرُهُ، فَمَتَى خَلاَ الحُبُّ عَنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ كَانَ حُبُّ العَبْدِ لِرَبِّهِ نَاقِصًا، فَإِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا صَرَفَهُ عَنِ الحَرَامِ فَإِذَا رَضِيَ عَنْهُ صَرَفَ الحَرَامَ عَنْهُ؛ فَلاَ يَقْرَبُ الحَرَامَ وَلاَ يَقْرَبُهُ الحَرَامُ؛ فَأَخْلَص دِينَكَ وَقَلْبَكَ، فَالقَلْبُ هُوَ الأَصْلُ فِي جِسْمِكَ، فَالفَهْمُ هُوَ فَهْمُ القَلْبِ، قَالَ اللهُ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف١٧٩] فَإِذَا لَمْ يَفْقَهْ قَلْبُ الإِنْسَانِ؛ فَبِمَ سَيَفْقَهُ؟! فَالحَيَوَانُ -حِينَئِذٍ- أَفْضَلُ مِنْهُ، فَالفِقْهُ فِقْهُ القَلْبِ؛ وَالرَّحْمَةُ وَالقَسْوَةُ -أَيْضًا- مِنَ القَلْبِ، قَالَ اللهُ ﷻ

---

(١) ناصيف اليازجي: ١٢١٥ - ١٢٨٨هـ.

مُمْتَنًّا عَلَى نَبِيِّهِ الكَرِيمِ ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران:١٥٩) فَلاَ تَكُنْ فَظًّا؛ وَاعْلَمْ أَنَّ الفَظَاظَةَ لاَ تَظْهَرُ إِلاَّ فِي الجَوَارِحِ، أَمَّا القَلْبُ فَيُوصَفُ بِالغِلَظِ، فَإِنْ كُنْتَ رَحِيمًا؛ فَهَذِهِ مِنَّةٌ وَهَبَهَا اللهُ إِيَّاكَ؛ فَاحْمَدِ اللهَ تَعَالَى عَلَيْهَا؛ وَإِنْ كُنْتَ قَاسِيًا فَتِلْكَ عُقُوبَةٌ مِنَ اللهِ عَلَيْكَ؛ فَاسْأَلِ اللهَ أَنْ يَرْفَعَهَا عَنْكَ؛ أَلَيْسَ اللهُ هُوَ القَائِلَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ (المائدة:١٣) ؟!

تَعْصِي الإِلَهَ وَأَنْتَ تَزْعُمُ حُبَّهُ ... هَذَا لَعَمْرِي فِي القِيَاسِ شَنِيعُ[1]
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لأَطَعْتَهُ ... إِنَّ المحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

قَالَ ابنُ القَيِّمِ (رَحِمَهُ اللهُ): لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي المحَبَّةِ إِلا أَنَّهَا تُنَجِّي مُحِبَّهُ مِنْ عَذَابِهِ لَكَانَ يَنْبَغِي لِلعَبْدِ أَنْ لاَ يَتَعَوَّضَ عَنْهَا بِشَيْءٍ أَبَدًا. فَإِذَا مَا أَحْبَبْتَ اللهَ دَعَوْتَ إِلَيْهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ حَتَّى فِي السِّجْنِ! هَكَذَا كَانَ المسْلِمُونَ الأَوَائِلُ، فَالإِسْلاَمُ عَمَلٌ؛ وَللهِ دَرُّ القَائِلِ: عَمَلُ رَجُلٍ فِي أَلْفِ رَجُلٍ خَيْرٌ مِنْ قَوْلِ أَلْفِ رَجُلٍ فِي رَجُلٍ، فَهَا هُوَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابنُ تَيْمِيةَ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي تَرْجَمَتِهِ تَرَى عَجَبًا، فَعِنْدَمَا دَخَلَ السِّجْنَ فِي مِحْنَةٍ أَلَمَّتْ بِهِ، وَكَانَتْ مِنْحَةً لِلْمَسَاجِينِ، فَوَجَدَ المسَاجِينَ فِي حَالَةٍ يُرْثَى لَهَا؛ يَلْهُونَ

---

(١) عبد الله بن المبارك: ١١٨ - ١٨١هـ.

وَيَلْعَبُونَ وَيَقْضُونَ أَوْقَاتَهُمْ فِي عَبَثٍ وَمُجُونٍ، فَأَوَّلُ مَا جَمَعَهُم عَلَى الصَّلاةِ ثُمَّ حَبَّبَهُم فِي اللهِ وَإِلَى اللهِ، وَأَعْظَمُ شَيْءٍ فِي الدُّنيا أَنْ تُحِبَّ اللهَ وَتَلْتَزِمَ بِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَشَرَعَ يُعْطِيهِم دُرُوسًا فِي الفِقْهِ وَتَفْسِيرِ القُرْآنِ وَالحَدِيثِ وَالتَّوْحِيدِ، فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ وَأَحَبُّوهُ وَأَنْصَتُوا لَهُ وَنَهَلُوا مِنْ عِلْمِهِ، وَكَانَتْ المفَاجَأَةُ أَنَّ كُلَّ سَجِينٍ مِنْهُم عِنْدَمَا انتَهَتْ مُدَّةُ حَبْسِهِ وَأَتَاهُ الإِفْرَاجُ رَفَض أَنْ يَخْرُجَ - وَكُلُّ سَجِينٍ يَحْلُمُ بالحُرِّيَّةِ - قَائِلاً لَنْ أُفَارِقَ الشَّيْخَ، انْظُرْ إِلَى رَحْمَةِ الشَّيْخِ بِهِمْ، وَإِلَى تَأْثِيرِهِ العَجِيبِ فِيهِم بِفَضْلِ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِم، وَلاَ عَجَبَ أَنَّهُمْ خَرَجُوا إِلَى الحُرِّيَةِ كَتِيبَةً مِنَ العُلَمَاءِ، ثُمَّ انْتَشَرُوا فِي الأَمْصَارِ وَعَلَّمُوا أُنَاسًا كَثِيرِينَ مَا وَعَوْهُ مِنْ الشَّيْخِ المبَارَكِ.

وَكُنْ لِرَبِّكَ ذَا حُبٍّ لِتَخْدِمَهُ   إِنَّ المحِبِّينَ لِلأَحْبَابِ خُدَّامُ

٣- أَسْبَابٌ مُتَعَدِّدَةٌ

وَهُنَاكَ أَسْبَابٌ مُتَعَدِّدَةٌ جَالِبَةٌ لِحُبِّ اللهِ تَعَالَى مِنْهَا قِرَاءَةُ القُرْآنِ وَتَدَبُّرِهِ وَالتَّقَرُّبُ إِلَى اللهِ بِالنَّوَافِلِ بَعْدَ الفَرَائِضِ وَدَوَامُ ذِكْرِ اللهِ وَمُجَالَسَةُ الصَّالِحِينَ وَالتِزَامُ الطَّاعَاتِ وَالتَّطَهُّرُ وَالتَّوْبَةُ وَالقِسْطُ فِي الأُمُورِ وَالأَعْمَالُ الصَّالِحَاتُ وَالبُعْدُ عَنِ الشَّهوَاتِ وَمَعْرِفَةُ مَكَايِدِ الشَّيْطَانِ وَالحَذَرُ مِنْ وَسَاوِسِهِ وَدَسَائِسِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (فاطر:٦) وَأَنْ تَسْتَحْيِيَ مِنَ اللهِ حَقَّ الحَيَاءِ، وَأَنْ تَتَعَلَّمَ كَيْفَ تُغَالِبُ هَوَاكَ وَتُطِيعُ

مَوْلاَكَ؟! وَأَنْ تَبْتَعِدَ عَنِ الذُّنُوبِ فَهَا هُوَ مُحَمَّدُ بنُ سِيرِينَ أَحَدُ الأَئِمَّةِ الأَعْلاَمِ كَانَ يُتَاجِرُ فِي الزَّيْتِ وَفِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ وَجَدَ فَأْرَةً فِي بِرْمِيلِ زَيْتٍ، وَكَانَ يَمْتَلِكُ مِنَ البَرَامِيلِ الكَثِيرَ ثُمَّ عَمِيَ عَلَيْهِ فِي أَيِّ بِرْمِيلٍ وَقَعَتِ الفَأْرَةُ وَالحُكْمُ الشَّرعِيُّ لَوْ وَقَعَتْ فَأْرَةٌ فِي شَيْءٍ مَائِعٍ كَزَيْتٍ وَغَيْرِهِ يُرَاقُ كُلُّهُ، وَلَوْ وَقَعَتْ فِي شَيْءٍ مُتَجَمِّدٍ كَسَمْنٍ وَغَيْرِهِ نُخْرِجُ الفَأْرَةَ وَمَا حَوْلَهَا وَنَنْتَفِعُ بِالبَاقِي فَلاَ يُرَاقُ كُلُّهُ، أَرَاقَ مُحَمَّدٌ الزَّيْتَ كُلَّهُ مُضْطَرًّا لِذَلِكَ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبِيعَهُ، فَرَكِبَهُ دَيْنٌ عَظِيمٌ مِنْ جَرَّاءِ ذَلِكَ قُدِّرَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا، فَلَمَّا سُئِلَ عَنِ السَّبَبِ فَقَالَ: هَذَا ذَنْبٌ ارْتَكَبْتُهُ مُنْذُ ثَلاثِينَ سَنَةً فَقَالُوا لَهُ: وَمَا ذَنْبُكَ؟ فَقَالَ: عَيَّرْتَ رَجُلاً بِفَقْرِهِ فَقُلْتُ لَهُ: يَا فَقِير، قَالَ ابنُ الجَوْزِيِّ مُعَلِّقًا عَلَى ذَلِكَ: قَلَّتْ ذُنُوبُ القَوْمِ فَعَرَفُوا مِنْ أَيْنَ أُوتُوا، فَلَمَّا كَثُرَتْ ذُنُوبُنَا لَمْ نَعْرِفْ مِنْ أَيْنَ نُؤْتَى؟! فَهَذَا ذَنْبٌ ارْتَكَبَهُ مُنْذُ ثَلاثِينَ سَنَةً لَمْ يَنْسَهُ، ذَنْبٌ وَاحِدٌ يُسَاوِي خسَارَةَ أَرْبَعِينَ أَلْفًا، وَنَحْنُ نَقُولُ أَنَّنَا فِي غَمٍّ وَهَمٍّ وَضِيقٍ وَالسَّبَبُ مَعْرُوفٌ فَلَوْ كُنَّا مُؤْمِنِينَ أَتْقِيَاءَ لَفَتَحَ اللهُ عَلَيْنَا بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَهَا هُوَ أَبُوكَ آدَمُ بِسَبَبِ ذَنْبٍ وَاحِدٍ هَبَطَ مِنَ الجَنَّةِ، وَعَلَيْنَا دَائِمًا اسْتِحْضَارُ الجَنَّةِ وَمَشَاهِدُهَا لِلتَّرْغِيبِ، وَاسْتِحْضَارُ النَّارِ وَمَشَاهِدُهَا لِلتَّرْهِيبِ، وَللهِ دَرُّ القَائِلِ:

كُــــلُّ حَــــيٍّ سَـــيَمُوتُ لَـــيْسَ فِي الـــدُّنْيَا ثُبُـــوت[1]
حَرَكَـــاتٌ سَـــوْفَ تَفْنَـــى ثُـــمَّ يَتْلُوهَـــا خُفُـــوت
وَكَـــلامٌ لَـــيْسَ يَحْلُـــو بَعْـــدَهُ إلا السُّــــكُوت
أَيُّهَـــا السَّـــادِرُ قُـــلْ لِي أَيْـــنَ ذَاكَ الجَـــبَرُوت؟!
كُنْـتَ مَطْبُوعًـا عَـلَى النُّطْـقِ فَـــمَا هَـــذَا الصُّـــمُوت
لَيْـــتَ شِـــعْرِي أَغُمُـــوضٌ مَـــا أَرَاهُ أَمْ قُنُـــوت
أَيْـــنَ أَمْـــلاكٌ لَهُـــم فِي كُـــلِّ أُفْـــقٍ مَلَكُـــوت؟!
زَالَـــتْ التِّيجَـــانُ عَـــنْهُم وَخَلَـــتْ تِلْـــكَ التُّخُـــوت
لاَ سَـــمِيعٌ يَفْقَـــهُ القَـــوْلَ وَلاَ حَـــيٌّ يَصُـــوت
عَمَـــرتْ مِـــنْهُم قُبُـــورٌ وَخَلَـــتْ مِـــنْهُم بُيُـــوت
خَمَـــدَتْ تِلْـــكَ المَسَـــاعِي وَانْقَضَـــتْ تِلْـــكَ النُّعُـــوت
إِنَّـــمَا الـــدُّنيَا خَيَـــالٌ بَاطِـــلٌ سَـــوْفَ يَفُـــوت
لَـــيْسَ لِلإِنْسَـــانِ فِيهَـــا غَـــيْرَ تَقْـــوَى الله قُـــوت

---

(١) محمود سامى البارودى: ١٥٢٢-١٣٢٢ هـ.

التَّقْوَى إِكْرَامٌ وَكَرَامَةٌ؛ فَلِمَاذَا لَا تُكْرِمُ نَفْسَكَ بِهَا؟!

مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعِيشَ مُكَرَّمًا وَأَنْ يَمُوتَ مُكَرَّمًا، وَأَنْ يُبْعَثَ يَوْمَ القِيَامَةِ مُكَرَّمًا، فَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ، قَالَ اللهُ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات:١٣) وَلَمْ يَقُلْ: أَغْنَاكُمْ؛ فَالغِنَى خَاصٌّ بِالأَثْرِيَاءِ، وَلَمْ يَقُلْ: أَقْوَاكُمْ؛ فَالقُوَّةُ خَاصَّةٌ بِالأَقْوِيَاءِ، أَمَّا التَّقْوَى فَهِيَ نِعْمَةٌ عَامَّةٌ؛ يَشْتَرِكُ فِيهَا الفُقَرَاءُ وَالأَغْنِيَاءُ وَكَذَلِكَ الأَقْوِيَاءُ وَالضُّعَفَاءُ، فَيَا حَبَّذَا لَوْ جَمَعْتَ بَيْنَ الغِنَى وَالتَّقْوَى؛ فَإِنَّكَ تُضِيفُ نِعْمَةً إِلَى نِعْمَةٍ، وَيَا حَبَّذَا لَوْ كُنْتَ قَوِيًّا فَإِنَّكَ تُضِيفُ فَضْلاً إِلَى فَضْلٍ، هَذَا فِي الدُّنْيَا. أَمَّا فِي الآخِرَةِ فَقَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ (المعارج:٣٥) بَلْ إِنَّهُمْ يَأْمَنُونَ مِنْ عَذَابِ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ (الدخان:٥١) فَسُبْحَانَ اللهِ! فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ؛ لَهُمُ الإِكْرَامُ وَالأَمَانُ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُكْرِمَهُ اللهُ فَلْيُكْرِمْ نَفْسَهُ بِالتَّقْوَى..

إِنَّ الكَرِيمَ إِذَا تَمَكَّنَ مِنْ أَذًى ... جَاءَتْهُ أَخْلَاقُ الكِرَامِ فَأَقْلَعَا
وَتَرَى اللَّئِيمَ إِذَا تَمَكَّنَ مِنْ أَذًى ... يَطْغَى فَلَا يُبْقِي لِصُلْحٍ مَوْضِعَا

وَمَا أُرِيدُهُ أَنْ أُنَبِّهَ أَحْبَابَنَا وَإِخْوَانَنَا فِي اللهِ إِلَى أَمْرٍ مُهِمٍّ؛ وَهُوَ أَنَّ اللهَ كَرَّمَنَا-بَنِي الإِنْسَانِ-فَخَلَقَنَا بِيَدَيْهِ فَمَسَّتْ يَدَاهُ الكَرِيمَتَانِ جِسْمَكَ؛ فَسَارَ جَسَدُكَ مُبَارَكًا وَمُكَرَّمًا، قَالَ اللهُ مُخَاطِبًا إِبْلِيسَ: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ

أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [ص:٧٥] ثُمَّ أَسْجَدَ لَكَ المَلاَئِكَةَ؛ وَهُمُ الَّذِينَ لاَ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ، فَهَلْ نَفْعَلُ نَحْنُ مَا نُؤْمَرُ بِهِ؟! أَمَرَهُمُ اللهُ فَقَالَ: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ [ص:٧٢] ثُمَّ نَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ حَيْثُ أَوْضَعَ فِيكَ سِرًّا عَجِيبًا لَوْ خَرَجَ مِنْكَ لَصِرْتَ جُثَّةً هَامِدَةً وَلَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ أَحَدًا مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَأَنْبِيَائِهِ المقَرَّبِينَ، حَيْثُ قَالَ: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء:٨٥]، فَالرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، ثُمَّ كَرَّمَكَ تَكْرِيمًا عَظِيمًا آخَرَ؛ فَحَمَلَكَ وَرَزَقَكَ وَفَضَّلَكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء:٧٠] وَأَسْكَنَهُ الجَنَّةَ يَأْكُلُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ، وشَرَّفَهُ بِالعِلْمِ، فَعَلَّمَ اللهُ آدَمَ وَلَمْ يُعَلِّمِ الملاَئِكَةَ؛ قَالَ اللهُ: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة٣١] فَالملاَئِكَةُ أَعْبَدُ، وَآدَمُ أَعْلَمُ بِفَضْلِ اللهِ عَلَيْهِ وَتعْلِيمِهِ إِيَّاهُ، وَالعَالِمُ مُفَضَّلٌ عَلَى العَابِدِ، فَالعَابِدُ يَنْفَعُ نَفْسَهُ وَلاَيَنْفَعُ غَيْرَهُ، وَالعَالِمُ كَالغَيْثِ، أَيْنَمَا حَلَّ أَصَابَ وَنَفَعَ، يَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَنْفَعُ غَيْرَهُ، فَهَذَا هُوَ تَكْرِيمُ اللهِ لَكَ؛ فَأَيْنَ تَكْرِيمُكَ نَفْسَكَ؟! وَكَيْفَ تَكُونُ أَهْلاً لِهَذَا التَّكْرِيمِ؟! الإِجَابَةُ: بِتَقْوَى اللهِ، فَأَعْظَمُ تَكْرِيمٍ دُخُولُكَ الجَنَّةَ، وَأَنْ تَسْتَمْتِعَ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ اللهِ الكَرِيمِ، وَأَعْظَمُ المهَانَةِ وَالخِزْيِ دُخُولُ أَحَدِنَا النَّارَ، وَالعِيَاذُ

بالله: ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ (آل عمران ١٩٢) ﴿ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (النحل ٢٧) فَهَلْ هُنَاكَ خِزْيٌ بَعْدَ هذَا الخِزْيِ؟! فَتَفْتَحُ أَبْوَابَهَا سَرِيعًا؛ لِلدُّخُولِ إِلَى الخِزْيِ وَالعَارِ وَالنَّارِ..

يَا سَاحِبًا ذَيْلَ الصَّبِيِّ فِي الهَوَى ... أَبْلَيْتَهُ فِي الغَيِّ وَهُوَ القَشِيب

فَاغْسِلْ بِدَمْعِ العَيْنِ ثَوْبَ التُّقَى ... ونَقِّهِ مِنْ قَبْلِ عَصْرِ المشِيب

فَمِنْ دُعَاءِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء ٨٧-٨٩) وَمِنْ دُعَاءِ المؤْمِنِينَ: ﴿ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (آل عمران ١٩٤). فَمِنَّا مَنْ حَافَظَ عَلَى هَذَا التَّكْرِيمِ، وَعَمِلَ عَلَى عَدَمِ مُفَارَقَتِهِ لَهُ وَلَمْ يُفَرِّطْ فِيهِ قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهِ، فَأَطَاعَ رَبَّهُ وَنَبِيَّهُ فَكَانَ مِنَ الفَائِزِينَ فَوْزًا عَظِيمًا؟! قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب ٧١) وَمِنَّا مَنْ شَغَلَتْهُ حَيَاتُهُ وَشَهوَاتُهُ فَنَسِيَ تَكْرِيمَ الله لَهُ كَمَا نَسِيَ أَبُوهُ مِنْ قَبْلُ، وَأَكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ (طه ١١٥) وَخُلَاصَةُ القَوْلِ: مَنْ عَاشَ تَقِيًّا عَاشَ مُكَرَّمًا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات ١٣) وَمَاتَ عَلَى كَلِمَةِ

التَّوْحِيدِ مُكَرَّمًا، وَبُعِثَ إِنْ شَاءَ اللهُ مُكَرَّمًا، قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: أَعْظَمُ الكَرَامَةِ لُزُومُ الاسْتِقَامَةِ، أَلَيْسَ اللهُ هُوَ القَائِلَ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان:٥١]؟! بَلَى. فَهُمْ يَأْمَنُونَ فِي هَذَا المقَامِ وَلاَ يُعَذَّبُونَ، بَلْ وَيَجْعَلُ اللهُ حِسَابَهُمْ يَسِيرًا، فِي يَوْمٍ حِسَابُهُ شَدِيدٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾ [الفرقان:٢٤] مَا أَرْحَمَ اللهَ بِهِمْ! فِي وَقْتٍ تَكُونُ فِيهِ الرَّحْمَةُ عَظِيمَةً وَوَاسِعَةً، قَالَ رَسُولُ اللهِ(١): «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ، كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الأَرْضِ رَحْمَةً؛ فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ». لِذَلِكَ عِنْدَمَا وَقَعَ بَصَرُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى امْرَأَةٍ تَحْمِلُ رَضِيعًا عَلَى يَدِهَا تَسِيرُ بِهِ، فَقَالَ(٢): «أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ، قُلْنَا: لا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»، بَعْدَ أَنْ سَمِعَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ هَذَا الحَدِيثَ، قَالَ: لَوْ قِيلَ لِي: سَنَتْرُكُ حِسَابَكَ -يَوْمَ القِيَامَةِ- لأَبِيكَ وَأُمِّكَ، لَقُلْتُ: لاَ، فَاللهُ أَرْحَمُ بِي مِنْهُمَا، سُبْحَانَ اللهِ! فَاللهُ بِهِمْ رَحِيمٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣].

---

(١) (صحيح): البخاري ٦٠٠٠، مسلم ٢٧٥٤، الترمذي ٣٥٤١، ابن ماجة ٤٢٩٣..

(٢) (صحيح): البخاري ٥٩٩٩، مسلم ٢٧٥٤.

انتبه.. تقوى الله في عبادته ومعاملة الناس!!

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ كثيرًا ما نقرأ هذه الآيَةَ فِي الكِتَابِ العَزِيزِ؛ فَقَدْ وَرَدَتْ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ مِنْهُ، لِذَا فَإِنَّكَ تُلاحِظُ شَيْئًا لُغَوِيًّا بَدِيعًا فِي الآيَةِ الكَرِيمَةِ؛ ذِكْرَ الفِعْلِ وَالفَاعِلِ، وَحَذْفَ المَفْعُولِ بِهِ المتعَلِّقِ بالتَّقْوَى؛ لِسَبَبٍ بَلاغِيٍّ وَهُوَ العُمُومُ، أَيْ: تَتَّقِي اللهَ فِي كُلِّ مَا نَهَاكَ عَنْهُ.. وَالتَّقْوَى هُنَا نَوْعَانِ: تَقْوَى اللهِ فِي العِبَادَةِ، وَتَقْوَى اللهِ فِي مُعَامَلَةِ النَّاسِ؛ وَلَيْسَتْ التَّقْوَى إِقَامَةَ العِبَادَاتِ فِي الأَرْضِ فَحَسْب، فَالعِبَادَاتُ تَنْفَعُ صَاحِبَهَا، وَلَكِنْ أَنْ تَتَّقِيَ اللهَ كَذَلِكَ فِي مُعَامَلَتِكَ النَّاسَ وَتَكُفَّ عَنْهُم شَرَّكَ، وَتَعْمَلَ أَعْمَالاً تَنْفَعُهُم فِي الدُّنْيَا، فَتَكُونَ قَرِيبًا مِنْ رَبِّكَ، وَتُخَالِقَهُم بِأَخْلاقٍ حَسَنَةٍ، لِتَنْفَعَكَ أَعْمَالُكَ فِي الآخِرَةِ، وَتَقْوَى اللهِ -أَيْضًا- أَنْ تَتَجَنَّبَ جَمِيعَ مَحَارِمِ اللهِ ﷻ وَالَّذِي نَهَانَا عَنْهَا، فَمِنْ أَعْظَمِ الأُمُورِ أَنْ تَعْرِفَ شِدَّةَ عَذَابِ اللهِ ﷻ ثُمَّ تُبَارِزُهُ بِالمَعَاصِي وَالآثَامِ، وَلاَ تَتَّصِف بِصِفَاتِ المتَّقِينَ؛ أَيُعْقَلُ هَذَا؟! فَالَّذِينَ اتَّقَوْا فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، فَهَذَا غَفِيرٌ، وَهَذَا وَزِيرٌ، وَالفَرْقُ بَيْنَهُمَا -فِي الدُّنْيَا- كَبِيرٌ، وَرُبَّمَا تَنْقَلِبُ الحَالُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَكُونُ الغَفِيرُ فَوْقَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِتَقْوَاهُ وَهِدَايَةِ اللهِ لَهُ، فَالكَرِيمُ هُوَ التَّقِيُّ، قَالَ اللهُ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة:٢١٢] فَلَوْ تَخَيَّلَ كلٌّ مِنَّا أَنَّ هَذَا العَامُ هُوَ آخِرُ عَامٍ لَهُ؛ لَتَزَوَّدَ مِنْ كُلِّ سُبُلِ الخَيْرِ،فَعَلَى العَبْدِ التَّقِيِّ أَنْ يَدعُوَ رَبَّهُ رَغَبًا وَرَهَبًا. لِذَا؛ فَعَاقِبَةُ التَّقْوَى مَحْمُودَةٌ

فَاصْبِرْ إِنَّ العَاقِبَةَ لِلمُتَّقِينَ؛ لِذَلِكَ عِنْدَمَا سُئِلَ المعْصُومُ فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ[1]: «مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: التَّقْوَى وَحُسْنُ الْخُلُقِ" قَالَ ابنُ القَيِّم -رَحِمَهُ اللهُ- فِي كِتَابِهِ الفَوَائِدِ: وَقَدْ جَمَعَ النَّبِيُّ بَيْنَهُمَا؛ لأَنَّ تَقْوَى الله تُصْلِحُ مَا بَيْنَ العَبْدِ وَرَبِّهِ؛ فَالتَّقْوَى تُوجِبُ لَهُ مَحَبَّةَ الله؛ وَحُسْنُ الخُلُقِ يُصْلِحُ مَا بَيْنَ العَبْدِ وَالنَّاسِ؛ فَتَدْعُو النَّاسَ إِلَى مَحَبَّتِهِ. وَسُئِلَ: مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّارَ؟ قَالَ: الأَجْوَفَانِ؛ الفَمُ وَالفَرْجُ»

والتقوى في القرآن تَأْتِي عَلَى ثَلاثَةِ مَعَانٍ؛ وَهِيَ:

١-الخَشْيَةُ وَالهَيْبَةُ: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ [البقرة:٤١]

٢-الطَّاعَةُ وَالعِبَادَةُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: أَيْ: أَطِيعُوا اللهَ حَقَّ طَاعَتِهِ.

٣-تَنْزِيهُ القَلْبِ عَنِ الذُّنُوبِ ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور:٥٢] فَقَدْ ذَكَرَ اللهُ الطَّاعَةَ وَالخَشْيَةَ ثُمَّ ذَكَرَ التَّقْوَى وَهِيَ هُنَا بِمَعْنَى تَنْزِيهِ القَلْبِ وَإِبْعَادِهِ عَنِ الذُّنُوبِ حَتَّى لاَ يَفْسَدَ؛ لِذَا كَانَتْ هِيَ الوَصِيَّةَ الخَالِدَةَ لِجَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ -وَهُمْ أَزْكَى البَشَرِ- لأَقْوَامِهِمْ، فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ ﴿أَلا تَتَّقُونَ﴾

(١) (صحيح): أحمد ٧٨٤٧، ابن ماجة ٤٢٤٦، الترمذي ٢٠٠٤، صحيح سنن الترمذي ٤/ ٣٦٤.

[الشعراء: ١٢٤-١٤٢-١٧٦] لِذَا عَظُمَ خَطَرُهَا وَبَانَ شَرَفُهَا وَلَوْ عَلِمُوا أَنَّ خَصْلَةً أَفْضَلُ مِنْهَا لَعَدَلُوا عَنْهَا إِلَيْهَا، فَهُمْ أَوْلِيَاءُ الله تَعَالَى فقَالَ: ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤] فَأَيُّ شَرَفٍ هَذَا لِلمُتَّقِينَ! فَلاَ يَسْتَحِقُّ هَذِهِ المنْزِلَةَ إِلا المتَّقُونَ ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩] الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ: ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: ١٨]

أَهَمِيَّةُ وَعَاقِبَةُ التَّقْوَى..

التَّقْوَى هِيَ أَهَمُّ وَأَعْظَمُ المكَاسِبِ فِي حَيَاةِ العَبْدِ المؤْمِنِ؛ لِذَا فَالتَّقْوَى فِي كِتَابِ رَبِّنا مَرَّةً يُشَبِّهُهَا بِخَيْرِ مَطْعَمٍ، فَقَالَ ﷻ: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ ﴾ (البقرة:١٩٧) نَزَلَتْ هَذِه الآيَةُ الكَرِيمَةُ فِي أَهْلِ اليَمَنِ[١]، فَقَدْ كَانُوا يَحُجُّونَ كُلّ عَامٍ بِلا زَادٍ يَتَقَوَّتُونَهُ وَيَتَقَوَّونَ بِهِ عَلَى الطَّرِيقِ، فَكَانُوا عَالَةً عَلَى النَّاسِ، فَأَمَرَهُمُ اللهُ ﷻ أَنْ يَتَزَوَّدوا وَخَيْرُ زَادٍ تَقْوَى الله.

سَبِيلُكَ فِي الدُّنيا مُسَافِرٍ ... وَلاَ بُدَّ مِنْ زَادٍ لِكُلِّ مُسَافِرِ
وَلاَ بُدَّ للإنسَانِ مِنْ حَمْلِ عُدَّةٍ ... وَلاَ سِيَّمَا إِنْ خَافَ صَوْلَةَ قَاهِرِ

وَمَرَّة ثَانِيَة يُشَبِّهُهَا بِخَيْرِ مَنْزِلٍ، فَقَالَ ﷻ: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ (التوبة:١٠٩) فَانْظُرْ بِقَلْبِكَ؛ لِتَجِدَ المقَابَلَةَ بَيْنَ صُورَتَيْنِ؛ الأُولَى جَمِيلَةٌ، وَهِيَ صُورَةُ التَّقْوَى وَالرِّضْوَانِ، وَالأُخْرَى قَبِيحَةٌ، وَهِيَ صُورَةُ الكُفْرِ وَالعِصْيَانِ، وَالمشْهَدُ يَقُومُ عَلَى التَّصْوِيرِ التَّجْسِيمِي عَلَى سَبِيلِ الاسْتِعَارَةِ فِي سِيَاقِ الاسْتِفْهَامِ الإِنْكَارِيِّ؛ فَتَتَخَيَّلُ

---

(١) راجع تفسير ابن كثير سورة البقرة آية رقم ١٩٧.

النَّفْسُ صُورَةَ هَذَا البِنَاءِ المؤسَّسِ الثَّابِتِ وَالرَّاسِخِ فِي الأَرْضِ[1]، وَصُورَةُ ذَلِكَ البِنَاءِ الَّذِي بَنَاهُ صَاحِبُهُ عَلَى طَرَفِ حُفْرَةٍ كَبِيرَةٍ فَسَقَطَتْ بِهِ. وَنَكَادُ نَسْمَعُ هَذَا الصَّوْتَ المدَوِّيَ الَّذِي قَامَ بِصُنْعِهِ الجِنَاسُ بَيْنَ (هار-فانهار-نار) لِيَرْسمَ حَرَكَةً عَنِيفَةً لِهَذَا الانْهِيَارِ لِيُفَاجَأَ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَصِيرِهِ المهِينِ حَيْثُ يَقُولُ مَوْلاَنَا: : ﴿فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾.. فَهَذَا مَنْزِلٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى؛ لِذَا فَإِنَّهُ يَهْدِي إِلَى الجنَّةِ، فَكُلُّ بَيْتٍ لَهُ بِنَاءَانِ: بِنَاءٌ مَادِيٌّ، وَهُوَ البِنَاءُ القَائِمُ عَلَى الأَعْمِدَةِ المعْرُوفَةِ، وَتَقْسِيمُ بِنَاءِ البَيْتِ إِلَى غُرَفٍ مُتَجَاوِرَةٍ وَمَنَافِعَ أُخْرَى، وَبِنَاءٌ آخَرُ، وَهُوَ البِنَاءُ المعْنَوِيُّ، وَهَذَا هُوَ البِنَاءُ الأَهَمُّ، وَهُوَ تَأْسِيسُ بَيْتِكَ عَلَى تَقْوَى الله، فَمَا أَجْمَلَ هَذَا الأَسَاسَ!! فَالتَّقْوَى هِيَ مَطْعَمُكَ وَمَلبسُكَ وَمَنْزِلُكَ، فَهَلْ يُوجَدُ مُؤْمِنٌ وَاحِدٌ يَعِيشُ بِلا مَأْكَلٍ أَوْ مَلْبَسٍ أَوْ مَنْزِلٍ؟.. إِذًا التَّقْوَى لاَ غِنَى عَنْهَا لِلمُؤمن الموَحِّد.

وَهَذَا مَنْزِلٌ أُقِيمَ عَلَى الفُجُورِ؛ فَإِنَّهُ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَأُخْرَى يُشَبِّهُهَا بِخَيْرِ مَلْبَسٍ، فَقَالَ ﷻ: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ﴾[الأعراف:٢٦] وَلله دَرُّهُ القَائِلُ:

(١) فن الجناس في القرآن، د/ محمد موسى-الطبعة الأولى-ص٣٢).

إِذَا المَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَابًا مِنَ التُّقَى تَقَلَّبَ عُرْيَانًا وَإِنْ كَانَ كَاسِيًا(١)
وَخَيْرُ لِبَاسِ المَرْءِ طَاعَةُ رَبِّهِ وَلاَ خَيْرَ فِيمَنْ كَانَ عَاصِيًا

وَلِعِظَمِ مَنْزِلَتِهَا أَمَرَ اللهُ بِهَا تَعَالَى رَسُولَ الله حَيْثُ نَادَاهُ ثُمَّ أَمَرَهُ ثُمَّ نَهَاهُ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب:١] اللهُ يَأْمُرُ نَبِيَّهُ، وَهُوَ مَنْ هُوَ فِي تَقْوَى الله، وَهَلْ هُنَاكَ مَنْ هُوَ أَتْقَى مِنْ رَسُولِ الله؟! إِنَّ اللهَ ﷻ يَأْمُرُ نَبِيَّهُ وَيُذَكِّرُهُ أَنْ يَدُومَ عَلَى تَقْوَاه، فَإِذَا قِيلَ لَكَ: اتَّقِ اللهَ، فَلْتَقُلْ: اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ المتَّقِينَ، وَلاَ تَكُنْ كَالأَخْنَسِ بنِ شُرَيقٍ أَحَدِ عُظَمَاءِ النِّفَاقِ فِي المدِينَةِ، كَانَ إِذَا خَلاَ بِرَسُولِ الله ﷺ وَالصَّحَابَةِ ﷻ أَظْهَرَ لَهُمْ حُبَّهُ وَوُدَّهُ ثُمَّ إِذَا ذَهَبَ مِنْ عِنْدِهِم قَطَّعَ زُرُوعَهُم وَعَقَرَ إِبِلَهُمْ وَانْتَقَصَ مِنْ شَأْنِهِم، فَإِذَا قِيلَ لَهُ: اتَّقِ اللهَ تَعَالَى أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بِالإِثْم، قَالَ اللهُ ﷻ مُتَوَعِّدًا إِيَّاهُ بِعَذَابٍ عَظِيمٍ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة:٢٠٦]

وَلأَهَمِّيَّةِ التَّقْوَى أَمَرَ اللهُ بِهَا المؤْمِنِينَ الأُوَلَ؛ صَحَابَةَ رَسُولِ الله ﷺ وَأَنْتَ مِنْ بَعْدِهِم -إِنْ شَاءَ اللهُ- إِذَا رَضِيتَ بِالله رَبًّا وَاحِدًا، وَبِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ نَبِيًّا مُرْسَلاً وَبِالقُرْآنِ كِتَابًا هَادِيًا مُنَزَّلاً وَبِالإِسْلامِ دِينًا خَاتِمًا، فَلاَ مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلاَّ رَبُّ الأَنَامِ،

(١) أبو العتاهية: ١٣٠-٢١١ هـ.

وَلاَ دِينَ بَعْدَ الإِسْلامِ وَلاَ كِتَابَ بَعْدَ القُرْآنِ وَلا نَبِيَّ بَعْدَ سَيِّدِ الأَنَامِ ﷺ، فَأَنْتَ مِنَ المؤْمِنِينَ المخْتَصِّينَ بِهَذَا النِّدَاءِ، يُنَادِيهِم رَبُّهُم فَيَقُولُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] قَالَ سَعِيدُ بنُ جُبَيْرٍ ﷺ وَهُوَ سَيِّدُ التَّابِعِينَ سَمَّاهُ الحجَّاجُ بنُ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ شَقِيًّا بنَ كُسَيْرٍ ثُمَّ قَتَلَهُ-: عِنْدَمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ عَلَى قَلْبِ النَّبِيِّ الكَرِيمِ ﷺ اشْتَدَّ بِهَا العَمَلُ عَلَى الصَّحَابَةِ، فَقَامُوا لله حَتَّى تَوَرَّمَتْ عَرَاقِيبُهُم وَتَقَرَّحَتْ جِبَاهُهُم، فَعَلِمَ اللهُ بِحَالِهِم فَأَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِم؛ تَخْفِيفًا عَلَيْهِم قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦]. وَفِي هَذَا المعْنَى يَقُولُ رَسُولُ الله ﷺ[1]: «خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَأَحَبُّ الصَّلاةِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّتْ، وَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلاةً دَاوَمَ عَلَيْهَا».

فَالمؤْمِنُ لاَ يَهْرَمُ أَبَدًا؛ وَثَوَابُهُ مُتَجَدِّدٌ، بَلْ هُوَ أَفْضَلُ البَشَرِ عَلَى الإِطْلاقِ؛ وَهَذَا مِنْ فَضْلِ الله عَلَيْهِ، فَالوُصُولُ إِلَى القِمَّةِ أَمْرٌ صَعْبٌ؛ وَلَكِنَّ الأَصْعَبَ مِنْهُ الحِفَاظُ عَلَيْهَا، فَحَافِظْ قَدْرَ استِطَاعَتِكَ عَلَى أَفْضَلِيَّتِكَ وَمَكَانَتِكَ؛ وَخَاصَّةً فِي هَذَا الزَّمَانِ، قَالَ رَسُولُ الله[2]: «العِبَادَةُ فِي الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ»، وَالهَرْجُ: الفِتَنُ وَمَا أَكْثَرَهَا هَذِهِ

---

(١) (صحيح): البخاري ١٩٧٠، مسلم ٧٤١، أبو داود ١٣١٧، النسائي ٥٠٣٥..

(٢) (صحيح): مسلم ٢٩٤٨، الترمذي ٢٢٠١، ابن ماجة ٣٩٨٥، أحمد ١٩٧٨٧.

الأَيَّامَ! وَقَوْلُ الرَّسُولِ الكَرِيمِ ﷺ فِي خُطْبَةِ حُجَّةِ الوَدَاعِ(١): «يا أَيُّها النَّاسُ أَلا إنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلا لا فَضْلَ لِعَرَبيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى....»

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(٢): «لاَ يَحْقِرَنَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَلْقَ أَخَاهُ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ، وَإِنْ اشْتَرَيْتَ لَحْمًا أَوْ طَبَخْتَ قِدْرًا فَأَكْثِرْ مَرَقَتَهُ، وَاغْرِفْ لِجَارِكَ مِنْهُ». وَجَعَلَ اللهُ ﷻ أَعْظَمَ وَأَكْرَمَ إِنْسَانٍ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ هُوَ التَّقِيُّ؛ لَيْسَ الصَّحِيحَ أَوْ الغَنِيَّ؛ وَلَكِنْ يَا حَبَّذَا لَوْ كَانَ صَحِيحًا تَقِيًّا أَوْ غَنِيًّا تَقِيًّا، فَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ نِعْمَةٍ وَأُخْرَى، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات١٣]

قَالَ الشِّنْقِيطِي (رَحِمَهُ اللهُ): إِنَّ الفَضْلَ وَالكَرَمَ إِنَّمَا هُوَ بِتَقْوَى اللهِ لاَ بِغَيْرِهِ مِنَ الانْتِسَابِ إِلَى القَبَائِلِ، وَلَقَدْ صَدَقَ القَائِلُ:

قَدْ رَفَعَ الإِسْلامُ سَلْمَانَ فَارِسٍ وَقَدْ وَضَعَ الكُفْرُ الشَّرِيفَ أَبَا لَهَبِ

(١) (صحيح): انفرد به أحمد ٢٢٩٧٨، وصححه الألباني في غاية المرام.

(٢) (صحيح): أحمد ٢٠٨١٧، مسلم ٢٦٢٦، الترمذي ١٨٣٣، ابن ماجة ٣٣٦٢.

فَلاَ فَضْلَ لِغَيْرِ المتَّقِي وَلَوْ كَانَ رَفِيعَ النَّسَبِ فِي قَوْمِهِ؛ فَأَكْرَمُ النَّاسِ وَأَفْضَلُهُم أَتْقَاهُمْ لله[1] وَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّ سَلْمَانَ كَانَ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِهِ:

أَبِي الإِسْلامُ لاَ أَبَا لِي سِوَاهُ إِذَا افْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيم

وَوَصَّى اللهُ بِهَا تَعَالَى أَهْلَ الكِتَابِ وَإِيَّانَا فَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ (النساء:١٣١) فَهلاَّ دَعَوْتَ اللهَ كَمَا كَانَ يَدْعُو رَسُولُ اللهِ ﷺ؟! فَيَقُولُ[2]: «....وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاقِ لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إلا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إلا أَنْتَ» بَلْ كَانَ إِذَا نَظَرَ فِي المرْآةِ يَقُولُ[3]: «اللَّهُمَّ حَسِّنْ خُلُقِي كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي»، فَيَا مَنْ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ الجَنَّةَ كُنْ حَسَنَ الأَخْلاقِ تَدْخُلُ الجَنَّةَ بِرَحْمَةٍ مِنَ اللهِ ﷻ وَفَضْلٍ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ[4]: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا» وَفِي حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) أضواء البيان (٧/ ٦٣٥)

(٢) (صحيح): أحمد ٨٠٥، مسلم ٧٧١، أبو داود ٧٦٠، الترمذي ٢٦٦.

(٣) (صحيح): صحيح الجامع ١٣٠٧.

(٤) (حسن): الترمذي ٢٠١٨، صحيح الجامع ١١٧٦.

ﷺ(١): «مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ» وَفِي حَدِيثٍ جَامِعٍ مَانِعٍ كُلُّنَا نَحْفَظُهُ؛ وَلَكِنْ مَنْ يُطَبِّقُهُ؟! وَوَصَّى سَيِّدُ الأَئِمَّةِ ﷺ كُلَّ أَفْرَادِ الأُمَّةِ بِتَقْوَى اللهِ، فَقَالَ ﷺ(٢): «اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعْ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»، فَاتَّقِ اللهَ فِي أَيِّ مَكَانٍ تَذْهَبُ إِلَيْهِ لابُدَّ أَنْ تَصْحَبَكَ التَّقْوَى؛ وَاتَّقِ اللهَ فِي سِرِّكَ وَعَلانِيَتِكَ، وَاتَّقِ اللهَ حَيْثُ يَرَاكَ النَّاسُ وَحَيْثُ لاَ يَرَوْنَكَ، فَاتَّقِ اللهَ ﷻ فِي مَالِكَ وَعَمَلِكَ وَأَوْلاَدِكَ وَزَوْجِكَ، وَإِذَا فَعَلْتَ سَيِّئَةً مُعَيَّنَةً فَسَارِعْ فِي الْحَالِ وَافْعَلْ حَسَنَةً؛ فَرُبَّمَا تَمُوتُ وَأَنْتَ عَلَى سَيِّئَةٍ فَيُخْتَم لَكَ بِسُوءِ خِتَامٍ.

رُبَّ امْرِئٍ مُتَيَقِّنٌ غَلَبَ الشَّقَاءُ عَلَى يَقِينِهِ
فَأَزَالَهُ عَنْ رَأْيِهِ فَابْتَاعَ دُنْيَاهُ بِدِينِهِ

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(٣): «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ» فَأَحْسِنُوا خَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُم؛ فَرُبَّمَا تَنَامُ فَلا يُدْرِكُكَ الْقِيَامُ؛ وَرُبَّمَا تَمُوتُ عَلَى تَوْبَةٍ فَيُخْتَم لَكَ

(١) (صحيح): أحمد ٢٦٩٧١، أبو داود ٤٧٩٩، الترمذي ٢٠٠٢، صحيح الجامع ٥٦٣٢.
(٢) (حسن): أحمد ٢٠٨٤٧، الترمذي ١٩٨٧، صحيح الجامع ٩٧.
(٣) (صحيح): البخاري ٢٨٩٨، مسلم ١١٢، أحمد ٢٢٣٢٨.

بِحُسْنِ خِتَامٍ، «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»(١) فَهَذَا حَدِيثٌ نَبَوِيٌّ مِنْ صَاحِبِ الخُلُقِ العَظِيمِ، فَهَلاَّ إِذَا أَذْنَبْتَ ذَنْبًا فَاسْتَغْفَرْتَ اللهَ؟! فَهَذِهِ صِفَةٌ حَسَنَةٌ فِي المتَّقِين، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران:١٣٥) فَأَكْثِرْ مِنَ الاسْتِغْفَارِ وَزِدْ مِنَ الحَسَنَاتِ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ (هود:١١٤) اعْتَرِفْ بِذَنْبِكَ وَاسْتَغْفِرْ رَبَّكَ وَكُنْ مِثْلَ سَيِّدِ النَّاسِ ﷺ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ، أَي: عَامِلِ النَّاسَ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوكَ بِهِ .فوظِّفْ العِبَادَةَ لِخِدْمَةِ السُّلُوكِ وَالمعَامَلاتِ، ..فَاتَّقِ اللهَ ﷻ سَاعَةً تَدْخُلْ رَحْمَةَ رَبِّكَ، فَالدُّنيَا سَاعَةٌ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (طه:١٣١) وَلاَ تَقُلْ: سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ، سَاعَةٌ لِرَبِّي وَسَاعَةٌ لِقَلْبِي، لاَ..اجْعَلْ سَاعَةَ رَبِّكَ لِرَبِّكِ، وَاجْعَلْ سَاعَةَ قَلْبِكَ -أَيْضًا- لِرَبِّكِ، فَهَلْ هُنَاكَ فِي الآخِرَةِ سَاعَةٌ فِي الجَنَّةِ وَسَاعَةٌ فِي النَّارِ؟! إِذًا..لاَ تَجْعَلْ فِي الدُّنْيَا سَاعَةً لِلمَعْصِيَةِ وَسَاعَةً لِلطَّاعَةِ، فَالدُّنْيَا سَاعَةٌ فَاجْعَلْهَا للهِ طَاعَةً.

---

(١) (صحيح): أحمد ١٤١٣، مسلم ٢٨٧٨.

...نَعَمْ وَالله، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ولا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [طه:١٣١] لَقَدْ شَبَّهَ اللهُ الدُّنْيَا بِأَنَّهَا زَهْرَةٌ، وَالزَّهْرَةُ عُمْرُهَا قَصِيرٌ جِدًّا بِالنِّسْبَةِ لِلسَّاقِ، أَلاَ تَرَى أَنَّكَ إِذَا قَطَعْتَ الزَّهْرَةَ مِنْ مَكَانِهَا، فَكَمْ تَعِيشُ نَضِرَةً؟! رُبَّمَا تَعِيشُ سَاعَةً نَاضِرَةً وَجَمِيلَةً، أَمَّا السَّاقُ فَتَصْبِرُ أَكْثَرَ بِكَثِيرٍ... بَلْ رُبَّمَا تَصْبِرُ مِئَاتِ السِّنِينَ، كُلُّهَا سَاعَةٌ وَيَحُطُّ المؤْمِنُ رَحْلَهُ فِي الجَنَّةِ، فَمَنْ مَاتَ قَامَتْ قِيَامَتُهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات:٤٦] أَيْ: عِنْدَمَا يَرَوْنَ القِيَامَةَ وَأَهْوَالَهَا لَمْ يَلْبَثُوا فِي قُبُورِهِم إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا، فَمَا أَقْصَرَ هَذِهِ الدُّنيَا! وَمَا أَقَلَّ نَعِيمَهَا! وقَالَ اللهُ فِي شَأْنِ المجْرِمِينَ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ [الروم:٥٥] فَاجْعَلْ حَيَاتَكِ كُلَّهَا لله؛ قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢] تَفُزْ بِجَنَّةٍ عَرْضُهَا الأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ مَعَ الرَّسُولِ الأَمِينِ ﷺ وَصَحْبِهِ الكَرِيمِ..

فَلاَ يَصِحُّ شَرْعًا وَلاَ يَلِيقُ عُرْفًا أَنْ تُصَلِّيَ وَتَزْنِيَ، أَوْ تَصُومَ وَتُرَابِي، أَوْ أَنْ تَحُجَّ وَتَرْتَكِبَ المحَرَّمَاتِ، فَاجْعَلْ كُلَّ سَكَنَاتِكَ وَحَرَكَاتِكَ لله ﷻ قَالَ اللهُ: ﴿وَاعْبُدْ

رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ [الحجر٩٩] وَاعَلَمْ أَنَّهُ مَهْمَا عَظُمَتْ ذُنُوبُكَ فَعَفْوُ اللهِ أَعْظَمُ؛ فَأَقْبِلْ عَلَى رَبِّكِ وَأَبْشِرْ؛ وَسَارِعْ إِلَى التَّقْوَى قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكَ اليَقِينُ (المَوْتُ)، وَلاَ تَكُنْ مِنَ المتَقَاعِسِينَ؛ حَتَّى تَلْحَقَ بِالصَّالِحِينَ..

اعْمَلْ وَأَنْتَ فِي الدُّنيَا عَلَى حَذَرٍ ... وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَ المَوْتِ مَبْعُوثُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا قدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ ... مُحْصَى عَلَيْكَ وَمَا خَلَّفتَ مَوْرُوثُ

نَعَم، فَأَنْتَ اليَوْمَ- أَيُّهَا الأَخُ الكَرِيمُ- حَيٌّ تُرْزَقُ، فَاغْتَنِمْ وَقتَكَ فِي فِعْلِ الخَيرَاتِ، وَأَسْرِعْ فِي ذَلِكَ؛ لأَنَّ العَجَلَةَ فِي البرِّ وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ مَحْمُودَةٌ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ [الواقعة١٠-١٢]

قَالَ العَلامَةُ ابنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ الله تَعَالَى- فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ: السَّابقُونَ فِي الدُّنيَا إِلَى الخَيرَاتِ والطَّاعَاتِ، هم السَّابِقُونَ فِي الآخِرَةِ إِلَى الرِّضْوَانِ والجَنَّاتِ، فَعَلَى قَدْرِ السَّبقِ هنا (فِي الدُّنيَا) يَكُونُ السَّبقُ هُنَاكَ (فِي الآخِرَةِ)، فَأَكْثِرْ من الطاعاتِ والخيراتِ والحَسَنات؛ فإنَّ الحَسَنَات يُذهبنَ السَّيئاتِ، أَلَمْ تَقْرَأ فِي القُرْآنِ ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود١١٤]؟! إذًا.. أَهْلُ التُّقَى فِي الدّنيَا هُمْ أَهْلُ الرِّفْعَةِ وَالمنْزِلَةِ فِي الآخِرَةِ، وَللهِ دَرُّهُ القَائِلُ:

عَتَبْتُ عَلَى الدُّنيَا لِرِفْعَةِ جَاهِلٍ وَخَفْضِ لِذِي عِلْمٍ فَقَالَتْ خُذِ العُذْرَا[١]
بَنُو الجَهْلِ أَبْنَائِي لِهَذَا رَفَعْتُهُمْ وَأَهْلُ التُّقَى أَبْنَاءُ ضُرَّتِي الأُخْرَى
أَأَتْرُكُ أَبْنَائِي يَمُوتُونَ ضَيْعَةً وَأُرْضِعُ أَبْنَاءَ لِضُرَّتِي الأُخْرَى

فَاتَّقِ اللهَ وَاسْتَحِ مِنْهُ أَشَدَّ الحَيَاءِ، فَلَوْ وَصَلْتَ إِلَى دَرَجَةِ الإِحْسَانِ فَهَذَا فَضْلٌ عَظِيمٌ مِنَ اللهِ ﷻ عَلَيْكَ، فَالإِحْسَانُ أَعْلَى مَنْزِلَةً مِنَ الإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ؛ فَالإِحْسَانُ كَمَا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ عَرَّفَهُ النَّبِيُّ فَقَالَ ﷺ[٢]: «الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» فَاتَّقِ اللهَ وَاسْتَحِ مِنْهُ أَشَدَّ الحَيَاءِ، يَأْتِي رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ الكَرِيمِ وَيَقُولُ لَهُ: عِظْنِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَيَقُولُ لَهُ[٣]: «أُوصِيكَ أَنْ تَسْتَحْيَ مِنَ اللهِ ﷻ كَمَا تَسْتَحْي من رَجُلٍ مِنْ صَالحِي قَوْمِكَ».

تَخَيَّلْ مَعِي هَذَا المَوْقِفَ: رَجُلٌ عَالِمٌ جَلِيلٌ -أَنْتَ تُحِبُّهُ وَتَحْتَرِمُهُ وَتُقَدِّرُهُ- إِذَا رَأَيْتَهُ رُبَمَا تَصْطَنِعُ أَمَامَهُ التَّقْوَى -وَأَنْتَ بَعِيدٌ عَنْهَا- فَإِذْ بِهِ يَنْظُرُ فَيَجِدُكَ فِي وَضْعٍ مُخِلٍّ وَبَشِعٍ مَعَ امْرَأَةٍ سَاقِطَةٍ، أَوْ مَا شَابَهَ ذَلِكَ مِنَ الكَبَائِرِ، فَمَاذَا

---

(١) ابن شيخان السالمي: ١٢٨٤-١٣٤٦ هـ.

(٢) (صحيح): البخاري ٥٠، مسلم ٩، النسائي ٤٩٩١.

(٣) (صحيح): السلسلة الصحيحة ٢/ ٣٦٦.

وَكَيْـفَ تَـتَصَرَّفُ وَقْتَهَـا؟!. لا شَـكَّ -أَخِـي الحَبِيـبَ- أَنَّ المَوْقِـفَ مُؤْسِـفٌ وَمُخْجِـلٌ أَمَـامَ هَـذَا العَـالِمِ الكَبِيرِ، فَـمَا بَالُـكَ أَنَّ الـذِي يَـرَاكَ هُـوَ اللهُ رَبُّـكَ ﷻ وَرَبُّ هَذَا العَـالِمِ المحْبُـوبِ؟! أَنْـتَ لا تَجْـرُؤ عَـلَى العِصْـيَانِ أَمَـامَ رَجُـلٍ صَـالِحٍ كَـرِيمٍ، فَلِـمَاذَا تَجَـرَّأْتَ عَـلَى اللهِ العَظِـيمِ ﷻ؟! وَلِمَـاذَا نَجْعَـلُ اللهَ ﷻ دَائِـمًا - أَهْـوَنَ النَّـاظِرِينَ إِلَيْنَـا؟! لابُـدَّ مِـنْ مُرَاجَعَـةِ إِيمانِنَـا وَإِصْـلاحِ فَسَـادِ قُلُوبِنَـا، وَالعَمَـلِ -مُخْلِصِـينَ- مِـنْ أَجْـلِ أَنْ يَـرْضَى اللهُ ﷻ عَنَّـا، وَاعْلَـمْ أَنَّ اللهَ ﷻ يَسْـمَعُ وَيَـرَى، قَـالَ اللهُ لِمُوسَـى وَهَـارُونَ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه:٤٦] فَالمَسَـافَاتُ الشَّاسِـعَةُ بَـيْنَ الأَرْضِ وَالسَّـماءِ لَـيْسَ لَهَـا وُجُـودٌ بَـيْنَ العَبْـدِ وَرَبِّـهِ، فَاللهُ يَسْـمَعُكَ وَيَـرَاكَ وَيَحْفَظُـكَ وَيَرْعَـاكَ، فَـاللهُ يَعْلَـمُ خَفَايَـا وَظَـوَاهِرَ الأُمُـورِ وَنَحْنُ لا نَعْلَمُ، إِنَّـمَا يَجِـبُ عَلَيْنَـا أَنْ نَعْمَـلَ وَنَتَـزَوَّدَ مِـنْ تَقْـوَى اللهِ قَبْـلَ القِيَامَـةِ وَأَهْوَالِهَـا، وَنُحْسِـنَ فِي جَمِيـعِ أَحْوَالِنَـا؛ لأنـك مـأمور بالإحسـان، قَـالَ اللهُ تَعَـالَى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥] فَأَحْسِـنْ إِلَى مَـنْ أَحْسَـنَ إِلَيْـكَ، وَأَحْسِـنْ إِلَى مَـنْ أَسَـاءَ إِلَيْـكَ، فَـإِنْ صَـادَفَ هَـذَا الإِحْسَـانُ أُنَاسًـا مُحْسِنِينَ فَهُـمْ أَهْـلٌ لَـهُ، وَإِنْ صَـادَفَ أُنَاسًـا مُسِيئِين فَأَنْـتَ أَهْـلٌ لَـهُ، وَلاَ تُقَابِـلْ إِحْسَـانًا بِإِسَـاءَةٍ أَبَـدًا؛ فَالإِسَـاءَةُ وَالإِحْسَـانُ لاَ يَسْـتَوِيَانِ، قَـالَ اللهُ تَعَـالَى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت٣٤] فَقَـدِّمْ الخَـيْرَ

وَالإِحْسَانَ لِنَفْسِكَ قَبْلَ أَنْ تَلْقَى اللهَ، فَيَجْزِيكَ بِالإِحْسَانِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ فَبِأَيِّ آلاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن٦٠-٦١] نَعَمْ..يَا رَبَّنَا لاَ نُكَذِّبُ بِأَيٍّ مِنْ نِعَمِكَ..

تَزَوَّدْ مِنْ حَيَاتِكَ لِلمَعَادِ ... وَقُمْ لله واجْمَعْ خَيرَ زَاد
وَلا تَرْكَن إِلَى الدُّنْيَا كَثيرًا ... فَإِنَّ المَالَ يُجْمَعُ للنَّفَاد
أَتَرْضَى أنْ تَكُونَ رَفيقَ قَوْمٍ ... لَهُمْ زَادٌ وأنتَ بِغَيرِ زَاد

ثَمرَاتٌ عَظِيمَةٌ وعَدِيدَةٌ لِلْمُتَّقِينَ مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ

١-اللَّهُ وَلِيُّ المتَّقِينَ

إنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ الإِنْسَانَ ضَعِيفًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨] لِـذَلِكَ فَهُـوَ يَحْتَـاجُ إِلَى وَلِيٍّ يَـنْصُرُهُ وَقْـتَ الشِّـدَّةِ؛ عِنْـدَمَا يَسْتَغِيثُ بِهِ؛ لِذَلِكَ شَبَّهَ اللهُ-تَعَالَى-الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ وَلِيًّا مِنْ دُونِهِ بِـأَنَّهُم يَعْتَمِـدُونَ عَلَى بَيْتٍ أَشْبَهِ بِبَيْتِ العَنْكَبُوتِ؛ رُغْمَ ضَعْفِ العَنْكَبُوتِ نَفْسِهِ، فَمَا بَالُـكَ بِبَيْتِـهِ؟! فَبَيْتُ العَنْكَبُوتِ لاَ يَمْنَعُ شَمْسًا وَلاَ يَصدُّ بَرْدًا؛ لِذَا فَهُـوَ ضَـعِيفٌ ضَـعِيف، وَمَـعَ ذَلِكَ يَعْتَمِدُونَ عَلَى هَذَا الضَّعْفِ وَالضَّعِيفِ، هَؤُلاَءِ هُمُ الَّذِينَ لاَ يَتَّخِذُونَ اللهَ ﷻ وَلِيًّا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٤١] أَمَّا الصَّـالِحُونَ فَـوَلِيُّهُم اللهُ الَّذِي لاَ يَغْفُلُ وَلاَ يَنَامُ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف:١٩٦] أي: مُتَوَلِّي أُمُورِي وَمُدَبِّرُهَا؛ هُـوَ الَّـذِي أَنْـزَلَ القُـرْآنَ وَيَحْفَـظُ الصَّالِحِينَ فِي حِلِّهِم وَتِرْحَالِهِم؛ لِـذَلِكَ قَـالَ اللهُ: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية:١٩] فَهَنِيئًا لَكَ أَيُّهَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ بِوَلاَيَـةِ اللهِ لَـكَ، فَهُـوَ وَلِيُّـكَ وَنَاصِرُكَ، أَمَّا غَيْرُهُ فَلاَ يَنْصُرُ وَلاَ يَنْفَعُ وَلاَ يَضُرُّ، قَـالَ اللهُ تَعَـالَى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ

يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ (الأعراف:١٩١-١٩٢)

إذًا..الإنْسَانُ إذَا وَقَعَ فِي مُصِيبَةٍ يَتُوهُ عَقْلُهُ، وَيَضِيعُ فِكْرُهُ، ولاَ يَسْتَحْضِرُ ذِهْنُهُ فِي هَذَا المَجَالِ إلاَّ كُلَّ مَنْ يَسْتَطِيعُ نَصْرَهُ، وَيَدْعُو كُلَّ مَحْبُوبٍ إِلَيْه مُقَرَّب، قَالَ عَنْتَرَةُ الشَّاعِرُ الجَاهِلِيُّ فِي شَأْنِ عَبْلَةَ مَحْبُوبَتِهِ، وَالمعْرَكَةُ قَائِمَةٌ عَلَى قَدَمٍ وَسَاقٍ؛ وَسَطَ الكَرِّ وَالفَرِّ:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالرِّمَاحُ كَأَنَّهَا ... أَشْطَانُ بِئْرٍ فِي لَبَانِ الأَدْهَمِ
فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لأَنَّهَا ... بَرَقَتْ كَذَلِكِ ثَغْرِكِ المتَبَسِّمِ

إِنَّهُ تَذَكَّرَ امْرَأَةً ضَعِيفَةً؛ لِيُصِيبَهُ الحَمَاسُ أَوْ لِيَسْتَمِدَّ مِنْ ذِكْرِهَا القُوَّةَ؛ لأَنَّهَا مَحْبُوبَتُهُ، أَمَّا أَنْتَ-أَيُّهَا الموَحِّدُ-فَانْظُرْ مِمَّنْ تَسْتَمِدُّ القُوَّةَ؟! الإِجَابَةُ: أَسْتَمَدُّ القُوَّةَ، من صَاحِبِ القُوَّةِ كُلِّهَا؛ مِنَ الله، أَتَدْرِي لِمَاذَا؟! لأَنَّ القُوَّةَ لله جَمِيعًا، فَحَبِيبُكَ اللهُ، وَالقَوِيُّ القَاهِرُ هُوَ اللهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً﴾ (البقرة:١٦٥) لِذَا قَالَ اللهُ لِلمُؤْمِنِينَ صَحَابَةِ النَّبِيِّ الأَمِينِ وَقْتَ المعْرَكَةِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ﴾ (الأنفال:٤٥) لِيَنْزِعَ الدُّنيَا مِنْ قُلُوبِهِم وَقْتَ الأَزْمَةِ وَالقِتَالِ، وَهُمْ حِينَئِذٍ لَيْسَ بَيْنَهُم وَبَيْنَ الموْتِ إلاَّ دَقَائِقُ مَعْدُودَةٌ بَلْ أَقَلُّ، كُلٌّ مِنْهُم يَذْهَبُ إِلَى القِتَالِ وَهُوَ

مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّهُ لَوْ مَاتَ وَاحِدٌ فِي المعْرَكَةِ فَسَيَكُونُ هُوَ هَـذَا الوَاحِـد، يَفْقِـدُ حَيَاتَـهُ؛ وَهِيَ أَغْلَى مَا يَمْلكُهُ الإِنْسَانُ فِي الدُّنيَا، حَتَّى يَمُوتُوا عَلَى التَّوْحِيدِ الخَالِصِ، هَكَـذَا وَقْتَ الأَزْمَةِ يَدْعُو كُلٌّ مِنَّا كُلَّ مَحْبُوبٍ إِلَيْهِ مُقَرَّبٍ؛ لِيَـنْصُرَهُ قَـائِلاً: أَغِثْنِـي؛ فَمَـنْ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ الله؟! لاَ يَمُوتُونَ فِي سَبِيلِ النِّسَاءِ مِيتَـةَ الجَاهِلِيَّـةِ؛ إِنَّـمَا يَمُوتُـونَ فِي سَبِيلِ الله رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، تَعَلَّمْ مِـنْ صَـحَابَةِ رَسُـولِ الله ﷺ سَـيِّدِ الأَوْفِيَـاءِ، اسْتَمِعْ إِلَيْهِم وَهُمْ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، يَسْتَغِيثُونَ رَبَّهُم مُـدَبِّرَ أُمُـورِهِم وَنَـاصِرَهُم عَـلَى عَدُوِّهِم، قَالَ اللهُ ﷻ فِي شَأْنِهِم: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأنفال) إِنَّ هَذَا المفْهُومَ وَقَرَ فِي قُلُوبِهِم، إِنَّهَا العَقِيدَةُ الصَّـحِيحَةُ، فَلاَ اسْتِغَاثَةَ وَلاَ ذِكْرَ إِلاَّ لله رَبِّ الأَرْبَابِ مَـعَ أَخْـذٍ كَامِـلٍ بِالأَسْـبَابِ؛ لِتَـدْخُلَ فِي مَعِيَّةِ الله، فَمَنْ كَانَ مَعَهُ اللهُ فَمَعَهُ كُـلُّ شَيْءٍ، وَمَـنْ فَقَـدَ مَعِيَّـةَ الله فَقَـدْ فَقَـدَ كُـلَّ شَيْءٍ.. كُنْ لله كَمَا يُرِيدُ يَكُنْ لَكَ فَـوْقَ مَـا تُرِيـدُ، إِذًا...هَـذِهِ الثَّمَـرَةُ مُهِمَّـةٌ جِـدًّا؛ فَعَلَيْكَ -بِدَايَةً- قَبْلَ أَنْ يَمُنَّ اللهُ عَلَيْكَ بِهَا أَنْ تُصَحِّحَ نِيَّتَكَ وَتُصْلِحَ فَسَادَهَا؛ فَالنِّيَّةُ أَمْرٌ خَطِيرٌ، فَإِمَّا أَنْ تُؤَدِّيَ بِكَ إِلَى النَّارِ وَبِئْسَ المصِيرُ، وَإِمَّا أَنْ تُؤَدِّيَ بِـكَ إِلَى الجَنَّـةِ وَنِعْمَ المصِيرُ، إِذًا مَا المطْلُوبُ مِنِّي؟! أَنْ أَنْوِيَ نِيَّةً طَيِّبَةً، وَأَنْ أَفْعَلَ الخَـيْرَاتِ وَكُـلَّ العِبَادَاتِ كُلَّ وَقْتٍ وَحِينٍ، لاَ أَنْ أَفْعَلَهَا -مَثَلاً- فِي رَمَضَانَ ثُمَّ أَصُومَ عَنْ فِعْلِهَا إِلَى نِهَايَةِ العَامِ، فَالعَبْدُ المؤْمِنُ يَعْبُدُ اللهَ رَبَّ الأَنَامِ عَلَى الدَّوَامِ؛ فَخَـيْرُ الأَعْـمَالِ أَدْوَمُهَـا

وَإِنْ قَلَّ، قَالَ اللهُ آمِرًا رَسُولَ الله: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر٩٩] فَالمؤمِنُ لاَ يَهْرَمُ أَبَدًا؛ وَثَوَابُهُ مُتَجَدِّدٌ، بَلْ هُوَ أَفْضَلُ البَشَرِ عَلَى الإِطْلاقِ؛ وَهَـذَا مِـنْ فَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ عَلَيْـهِ، قَـالَ اللهُ تَعَـالَى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة١٠٥] فَالوُصُولُ إِلَى القِمَّـةِ أَمْـرٌ صَـعْبٌ؛ وَلَكِـنَّ الأَصْـعَبَ مِنْـهُ الحِفَـاظُ عَلَيْهَا، فَحَافِظْ قَدْرَ استِطَاعَتِكَ عَلَى أَفْضَلِيَّتِكَ وَمَكَانَتِكَ؛ فَرُبَّمَا يَمُوتُ أَحَدُنَا وَهُوَ نَاوٍ عَلَى طَاعَةٍ فَيَأْجُرُهُ الرَّحِيمُ الـرَّحْمَنُ، وَهَـذَا مَثَـلٌ أَسُـوقُهُ إِلَيْـكَ، رَجُـلانِ كَانَـا يَسِيرَانِ فِي الطَّرِيقِ العَامِ؛ الأَوَّلُ كَانَ يَسِيرُ إِلَى الصَّلاةِ فِي طَاعَـةِ الله، وَالآخَـرُ كَـانَ يَسِيرُ إِلَى لَوْنٍ مِنْ أَلْوَانِ الفَسَادِ فِي مَعْصِيَةِ الله؛ فَجْأَةً مَـاتَ الـرَّجُلانِ بِفِعْـلِ حَادِثَـةٍ مُعَيَّنَةٍ فِي الطَّرِيقِ العَام ، السُّؤالُ: هَلْ يَسْتَوِيَانِ؟! عِنْـدِي وَعِنْـدَكَ يَسْـتَوِيَانِ، فَأَنَـا وَأَنْتَ لاَ نَعْلَمُ الغَيْبَ؛ إِنَّمَا يَعْلَـمُ الغَيْـبَ اللهُ، فَالموْتَـةُ وَاحِـدَةٌ، وَلَكِـنْ عِنْـدَ الله لاَ يَسْـتَوِيَانِ، قَـالَ اللهُ تَعَـالَى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَ يَسْتَوُونَ﴾ [السـجدة١٨] وَقَـالَ اللهُ تَعَـالَى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم٣٦] فَكُلُّ إِنْسَانٍ يُبْعَثُ عَلَى مَاتَ وَنَـوَى عَلَيْـهِ، أَلَمْ يَقُـلْ رَسُولُ الله[1]: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ...»؟! لأَهَمِّيَّةِ هَذَا الحَدِيثِ ذَكَرَهُ البُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللهُ-فِي

(١) (صحيح): البخاري ١، مسلم ١٩٠٧، الترمذي ١٦٤٧.

مفْتَتَح كِتَابِهِ الجَامِعِ الصَّحِيحِ؛ بَـابِ بـدء الـوَحْيِ، فَعَلَيْـكَ ألاَّ تُغْـرِقَ نَفْسَـكَ فِي الشَّهوَاتِ؛ وَإِنَّمَا عَلَيْكَ أَنْ تُطْلِقَ لَهَا العَنَانَ فِي فِعْـلِ الخَـيْرَاتِ وَعَمَـلِ الصَّـالِحَاتِ، فَإِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ (هود:١١٤) قَالَ أَهْلُ العِلْمِ: مَنْ نَوَى خَـيْرًا وَفَّقَـهُ اللهُ إِلَيْـهِ، وَمَـا ذَلِـكَ الرَّجُلُ مِنَّا بِبَعِيدٍ وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ مَائَـةَ نَفْـسٍ وَهُـوَ حَـدِيثٌ فِي البُخَـارِيِّ[1]: حَيْـثُ اخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلائِكَةُ العَذَابِ، وَهُوَ الرَّجُلُ الَّذِي رُبَّمَا لَـمْ يَفْعَـلْ خَيْـرًا قَط -وَهَذَا هُوَ شَاهِدُ مَلائِكَةِ العَذَابِ- وَمَعَ ذَلِكَ كَـانَ مِـنْ نَصِيبِ الأَرْضِ الصَّـالِحَةِ حَيْـثُ أَوْحَى اللهُ إِلَيْهَا أَنْ تَتَقَارَبَ؛ وَالسَّبَبُ نِيَّتُـهُ الخَالِصَـةُ وَنَفْسُـهُ التَّائِبَـةُ -وَهَذَا هُـوَ شَـاهِدُ مَلائِكَةِ الرَّحْمَةِ- وَكَـذَا تَصْـمِيمُهُ الأَكِيـدُ عَـلَى تَـرْكِ المُنْكَـرَاتِ وَفِعْـلِ الصَّـالِحَاتِ وَالإِقْبَالِ بِنَفْسٍ تَائِبَةٍ مُنِيبَةٍ عَلَى رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، فَكَانَ هَذَا الأَجْرُ الكَـرِيمُ مِنَ الخَالِقِ العَظِيمِ الرَّحِيمِ ﷻ.

٢-البُشْرَى: وَهِيَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ وَمَحَبَّةُ اللهِ وَالمَلائِكَةِ والبَشَرِ لَهُ.

قَـالَ اللهُ تَعَـالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ (يونس:٦٣-٦٤) قَـالَ النَّبِـيُّ ﷺ[2]: «هِـيَ الرُّؤْيَـا الصَّـالِحَةُ يَرَاهَـا الْمُـؤْمِنُ أَوْ تُـرَى

---

(١) (صحيح): البخاري ٣٤٧٠، مسلم ٢٧٦٦، ابن ماجة ٢٦٢٦.

(٢) (صحيح): أحمد ٢٢١٧٩، الترمذي ٢٢٧٥، ابن ماجة ٣٨٩٨، صحيح سنن الترمذي ٤/٥٣٨.

لَـهُ» وَقَـالَ أَيْضًـا[1]: «ذَهَبَـتْ النُّبُـوَّةُ وَبَقِيَـتْ الْمُبَشِّـرَاتُ» وَالمـبشِّرَاتُ: الـبُشْرَى المعجَّلَـةُ لَـهُ بِـالخَيْرِ وَهِـيَ دَلِيـلٌ عَـلَى رِضَـا الله عَنْـهُ وَمحبَّتِـهِ لِعَبْـدِهِ فَيُحَبِّبُـهُ إِلَى الملاَئِكَـةِ وَإِلَى خَلْقِـهِ فَيُوضَـعُ لَـهُ القَبُـولُ فِي الأَرْضِ، وَعَـنْ أَبِي ذَرٍّ قُلْـتُ لِرَسُـولِ الله[2]: «أَرَأَيْـتَ الرَّجُـلَ يَعْمَـلُ الْعَمَـلَ مِـنْ الْخَيْـرِ، وَيَحْمَـدُهُ النَّـاسُ عَلَيْـهِ، قَالَ: تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ».

قَالَ الزَّمَخْشَرِي فِي تَفْسِيرِهِ: البُشْرَى فِي الدُّنْيَا مَا بَشَّرَ بِهِ المؤمِنِينَ المتَّقِينَ فِي غَـيْرِ مَكَانٍ مِنْ كِتَابِهِ الكَرِيمِ.

٣-الفَتْحُ المُبَارَكُ

اعْلَمْ-حَبِيبِي فِي الله-أَنَّ الفَـتْحَ فَتْحَـانِ: فَـتْحٌ مُبَـارَكٌ عَـلَى المُؤْمِنِينَ،قَـالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف:٩٦)...وَفَتْحٌ آخَرُ عَلَى الكَـافِرِينَ وَهُـوَ فَـتْحٌ غَيْرُ مُبَارَكٍ، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ [3]: قَالَ: إِذَا رَأَيْـتَ اللهَ ﷻ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنْ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ؛ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ، ثُـمَّ تَـلا رَسُـولُ اللهَ ﷺ :

---

(١) (صحيح): أحمد ٢٦٦٠٠، ابن ماجة ٣٨٩٦، صحيح سنن ابن ماجة ٢/ ١٢٨٣.

(٢) (صحيح): أحمد ٢٠٨٧٢، مسلم ٢٦٤٢، ابن ماجة ٤٢٢٥.

(٣) (حسن): انفرد به أحمد ١٦٨٦٠، صحيح الجامع ٥٦١.

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤]

فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ مِنْ أَيِّ الفَرِيقَيْنِ أَنْتَ؟....فَالنَّاسُ فِرَقٌ مُتَفَرِّقَةٌ فِي الدُّنيَا، وَلَكِنَّهُم فِي الآخِرَةِ فَرِيقَانِ: فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ، فَإِمَّا أَنْ يَهْدِيَكَ اللهُ -فِي الآخِرَةِ- إِلَى الجَنَّةِ، وَإِمَّا أَنْ يَهْدِيَكَ إِلَى النَّارِ؛ فَالهِدَايَةُ نَوْعَانِ: هِدَايَةٌ إِلَى الجَنَّةِ وَهِدَايَةٌ إِلَى النَّارِ؛ فَمَنْ هَدَى اللهَ فِي الدّنيَا قَلْبَهُ هَدَاهُ فِي الآخِرَةِ إِلَى الجَنَّةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٣]

وَمَنْ أَضَلَّ اللهُ فِي الدّنيَا قَلْبَهُ أَضَلَّهُ أَيْضًا فِي الآخِرَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٢٣]

فَالأَمْرُ فِي هَذَا اليَوْمِ العَظِيمِ لَيْسَ بِكَثْرَةِ المَالِ أَوْ ضَخَامَةِ الأَجْسَامِ؛ إِنَّمَا بِالتَّقْوَى وِالعَمَلِ الصَّالِحِ وَعِظِيمِ الإِيمَانِ، وَفَوْقَ هَذِهِ الأُمُورِ هِدَايَةُ اللهِ لَكَ وَرَحْمَةُ اللهِ بِكَ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ فِي شَأْنِ ابنِ مَسْعُودٍ؛ وَهُوَ النَّحِيفُ السَّاقَيْنِ: «إِنَّ سَاقَي ابنِ

مَسْعُودٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أُحُدٍ»(١). وَعَلَى النَّقِيضِ تَمَامًا قَالَ رَسُولُ الله فِي شَأْنِ رَجُلٍ لاَ إِيمَانَ عِنْدَهُ عَلَى الرُّغْمِ مِنْ أَنَّهُ رَجُلٌ عَظِيمُ الجِسْمِ بَدِينٌ(٢): «إِنَّـهُ لَيَـأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٥]».

٤- مَعِيَّةُ اللهِ مَعَ المتَّقِينَ

إِذَا كَانَ اللهُ ﷻ مَعَكَ، فَمَنْ عَلَيْكَ أَيُّهَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ؟! فَمِمَّنْ تَخَافُ؟! فَلاَ تَرْهَبْ إِلاَّ مِنْهُ، وَلاَ تَرْغَبْ إِلاَّ فِيهِ، وَلاَ تَخْشَعْ إِلاَّ لَهُ، وَلاَ تَتَوَكَّلْ إِلاَّ عَلَيْهِ، وَلاَ تَسْتَعِينَ إِلاَّ بِهِ هَذَا المفْهُومُ إِذَا وَقَرَ فِي عَقْلِكَ وَقَلْبِكَ، فَمِمَّنْ تَخَافُ؟! إِذًا... كُلٌّ مِنَّا يُرِيدُ الأَمْنَ وَالأَمَانَ وَيَطْمَعُ فِي رَحْمَةِ رَبِّهِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟!

وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخْبِرَكَ بِهِ أَنْ مَعِيَّةَ الله نَوْعَانِ: مَعِيَّةٌ عَامَّةٌ؛ وَهِيَ مَعِيَّةُ العِلْمِ وَالإِحَاطَةِ وَالمرَاقَبَةِ؛ فَاللهُ مَعَكَ بِسَمْعِهِ وَعِلْمِهِ وَإِحَاطَتِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:٤] وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء:١٢٦]

---

(١) (صحيح): أحمد ٩٢٢، السلسلة الصحيحة٦/ ٥٧٠.

(٢) (صحيح): البخاري ٤٧٢٩، مسلم ٢٧٨٥.

وَمَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ؛ وَهِيَ مَعِيَّةُ التَّأْيِيدِ وَالنُّصْرَةِ وَالْمَدَدِ وَالعَوْنِ وَالتَّثْبِيتِ وَالتَّوْفِيقِ وَالحِفْظِ وَالرِّعَايَةِ، وَهِيَ خَاصَّةٌ بِالْمُتَّقِينَ وَالمُؤْمِنِينَ وَالصَّابِرِينَ وَالمحسِنِينَ وَمَنْ عَلَى شَاكِلَتِهِم، قَالَ اللهُ فِي شَأْنِهِم: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨] فَاللهُ يُثَبِّتُكَ، ولاَ يُثَبِّتُ كَافِرًا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ فَادْعُ اللهَ -مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِكَ- أَنْ يَجْعَلَكَ أَحَدَهُم؛ فَإِنَّ اللهَ ﷻ مَعَ المتَّقِينَ، مَعَهُمُ اللهُ وَهُوَ القَيُّومُ الَّذِي لاَ يَنَامُ، وَالقَوِيُّ الَّذِي لاَ يَقْهَرُ، وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ بِقَدَرٍ وَبِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ، قَالَ سَيِّدُ الأَئمَّةِ ﷺ لِصِدِّيقِ الأُمَّةِ ﷺ؛ لِكَيْ يُهَدِّئَ مِنْ رَوْعِهِ فَعِنْدَمَا وَصَلَ الكُفَّارُ إِلَى بَابِ الغَارِ (غَار ثَوْرٍ)، فَقَدْ رَوَى البُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ ﷺ قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ فِي الغَارِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا بِأَقْدَامِ القَوْمِ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا فَقَالَ: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا»[1]، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي كِتَابِهِ آيَةً تُتْلَى إِلَى يَوْمِ الدِّينِ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة:٤٠] أَيْ: فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ وَقْتَ خُرُوجِهِ، فَسَارَ النَّبِيُّ وَصَاحِبُهُ وَالنَّصْرُ حَلِيفُهُمَا؛ لأَنَّهُمَا فِي مَعِيَّةِ اللهِ، ثُمَّ يَقُولُ المَوْلَى جَلَّ وَعَلا: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ

---

(١) (صحيح): البخاري ٣٦٥٣، مسلم ٢٣٨١، الترمذي ٣٠٩٦، أحمد ١٢

كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا ﴾ وَالفِعْلُ (جَعَلَ) يُفِيدُ الصَّيْرُورَةَ، أَقُولُ مَثَلاً: جَعَلَتِ الشَّمْسُ الثَّلْجَ مَاءً؛ فَالمَاءُ تَحَوَّلَ مِنْ حَالَةٍ إِلَى حَالَةٍ، فَالجُمْلَةُ الفِعْلِيَّةُ تُفِيدُ التَّحَوُّلَ وَالانْتِقَالَ مِنْ قُوَّةٍ إِلَى ضَعْفٍ، أَمَّا قَوْلُ الله تَعَالَى: ﴿ وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا ﴾ فَالجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ تُفِيدُ هُنَا الثَّبَاتَ وَالاسْتِمْرَارَ، وَلَمْ يَقُلِ المَوْلَى: (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الله هِيَ العُلْيَا) فَاللهُ هُوَ القَوِيُّ الَّذِي لاَ يَعْتَرِيهِ ضَعْفٌ سُبْحَانَهُ، وَالبَشَرُ كُلُّهُم ضِعَافٌ، لِذَا أَتَى خِتَامُ الآيَةِ قَوِيًّا: ﴿ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ فَاللهُ عَزِيزٌ لاَ يُغْلَبُ، وَحَكِيمٌ فِي صُنْعِهِ وَمُلْكِهِ، فَهُوَ اللهُ الصَّمَدُ لاَ يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؛ وَالبَشَرُ -جَمِيعًا- يَحْتَاجُونَ إِلَى الوَاحِدِ الأَحَدِ.

وَقَالَهَا سَيِّدُنَا مُوسَى عليه السلام أَعْظَمُ الأَنْبِيَاءِ ذِكْرًا وَتِكْرَارًا فِي القُرْآنِ، فَمَا بَيْنَ سُورَةٍ وَأُخْرَى إِلاَّ وَيُطَالِعُكَ ذِكْرُ هَذَا النَّبِيِّ الكَرِيمِ ﷺ، قَالَهَا سَيِّدُنَا مُوسَى عليه السلام لِقَوْمِهِ عِنْدَمَا رَأَى قَوْمُهُ جَيْشَ فِرْعَوْنَ: ﴿ فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء:٦١-٦٢]

كُلٌّ مِنَّا يُرِيدُ أَنْ يَخْتِمَ اللهُ لَهُ بِخَاتِمَةٍ حَسَنَةٍ؛ فَمَنْ مِنَّا يُرِيدُ سُوءَ الخِتَامِ، وَأَنْ يُلْقَى بِهِ فِي النَّارِ؟! ﴿ أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (فصلت:٤٠) وَلَقَدْ وَرَدَتْ الأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ الوَارِدَةُ عَنْ رَسُولِ الله؛

لِتُؤَكِّدَ لَنَا أَنْ الإِنْسَانَ يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى مَاتَ عَلَيْهِ؛ فَالأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ؛ فَاللَّهُمَّ أَحْسِنْ خَوَاتِيمَ أَعْمَالِنَا، وَمِنَ المهِمِّ جِدًّا فِي حَيَاة العَبْدِ المؤْمِنِ قَبْلَ وَفَاتِهِ أَنْ يُقْبِلَ الإِنْسَانُ عَلَى رَبِّهِ بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ وَنَفْسٍ تَائِبَةٍ وَقَلْبٍ صَافٍ خَالٍ مِنَ الأَحْقَادِ وَالضَّغَائِنِ وَأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، يَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ وَيَخْشَى عَذَابَهُ، يَقْوَى رَجَاؤُهُ فِي رَحْمَةِ اللهِ عَنْ خَوْفِهِ مِنْهُ وَخَاصَّةً فِي سَاعَةِ احْتِضَارِهِ، وَلاَ يَمُوتُ إِلا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ، كَمَا وَرَدَ عَنْ جَابِرِ بن عبد الله حيث قَالَ(١): سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلاثٍ يَقُولُ: «لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلا وَهُوَ يُحْسِنُ بِاللَّهِ الظَّنَّ» حِينَئِذٍ يَتَقَبَّلُهُ رَبُّهُ بِقَبُولٍ حَسَنٍ إِنْ شَاءَ اللهُ، أَمَّا فِي دُنْيَاهُ وَفِي صِحَّتِهِ وَعَمَلِهِ يُغَلِّبُ جَانِبَ الخَوْفِ عَلَى جَانِبِ الرَّجَاءِ، أَيْ أَنْ تَتَّقِيَ اللهَ فِي عَمَلِكَ، لِذَا لَوْ مَنَّ اللهُ عَلَيْكَ بِرَحْمَتِهِ؛ فَقَدْ مَنَّ عَلَيْكَ بِفَضْلٍ عَظِيمٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ، يَحِقُّ لَكَ أَنْ تَفْرَحَ بِهِمَا، فَلاَ تَفْرَحْ بِالمَالِ؛ فَالمَالُ عَرَضٌ زَائِلٌ، وَكَذَا المنصبُ، إِنَّمَا الفَرَحُ الحَقِيقِيُّ مَا قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨] وَلَوْ عَلِمْتَ مَعَانِيَ الرَّحْمَةِ فِي القُرْآنِ لَزَادَ فَرَحُكَ وَاطْمَأَنَّ قَلْبُكَ وَطَابَتْ نَفْسُكَ، فَالرَّحْمَةُ فِي كِتَابِ رَبِّكَ أَتَتْ عَلَى مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ(٢)؛ أَبْرَزُهَا: الإِسْلامُ وَالجَنَّةُ وَالخَيْرُ الوَفِيرُ وَالغِنَى وَالصِّحَّةُ

---

(١) (صحيح): مسلم ٢٨٧٧، أبو داود ٣١١٣، ابن ماجة ٤١٦٧.

(٢) راجع معاني الرحمة في كتابنا (الرحمة من الكتاب والسنة وحياة سلف الأمة)

وَالمغْفِرَةُ وَالوَلاَيَةُ و...إلخ. فَادْعُ اللهَ ﷻ أَنْ يَرْحَمَكَ فِي حَيَاتِكَ وَعِنْدَ مَمَاتِكَ وَيَوْمَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، لِتَحْصُلَ -بِفَضْلِ اللهِ وَحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ- عَلَى هَذِهِ المِنَحِ العَظِيمَةِ، وَلاَ تَنْسَ أَحْبَابَكَ مِنْ دُعَائِكَ؛ لَعَلَّ رَحْمَةَ اللهِ تُصِيبُهُمْ بِدُعَائِكَ لَهُمْ، وَقُلْ مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِكَ: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران ٨]

وَهَذَانِ مَثَلانِ مِنْ وَاقِعِ حَيَاتِنَا؛ رَجُلاَنِ: أَحَدُهُمَا قَامَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ؛ لِيَرْتَكِبَ مُصِيبَةً حَتَّى لاَ يَرَاهُ أَحَدٌ، إِنَّهُ يَخْشَى النَّاسَ وَلاَ يَخْشَى اللهَ؛ لِذَا فَهُوَ يَذْهَبُ إليها خَائِفًا، وَيَعُودُ مِنْهَا وَهُوَ خَائِفٌ، فَمَنِ الَّذِي قَذَفَ الرُّعْبَ فِي قَلْبِهِ؟! إِنَّهُ اللهُ، فَهُوَ فِي مَعْصِيَةِ مَوْلاَهُ، فَمَنْ يُؤَمِّنُهُ؟! اللهُ الَّذِي تَوَعَّدَهُ بِالعَذَابِ؛ فَقَالَ: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى﴾ [طه ٧٤] وَهَكَذَا حَالُ كُلِّ المجْرِمِينَ وَالعُصَاةِ الَّذِينَ لاَ يَخْشَوْنَ اللهَ، بِاللهِ عَلَيْكَ أَلاَ تُخِيفُكَ هَذِهِ الآيَةُ؟! فَادْعُ اللهَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الآمِنِينَ..

وَرَجُلٌ آخَرُ قَامَ مِنْ نَوْمِهِ فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ؛ لِيَقِفَ بَيْنَ يَدَي رَبِّهِ سَاجِدًا رَاكِعًا مُتَذَلِّلاً، قَامَ للهِ آمِنًا، وَهَجَعَ مُؤَمَّنًا، فَمَنِ الَّذِي أَمَّنَهُ؟! إِنَّهُ اللهُ الَّذِي قَالَ فِيهِ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا﴾ [طه ١١٢] أَيُّهَا الحَبِيبُ..أَلاَ

تَكْفِيكَ هَذِهِ الآيَةُ؟! اللهُ الّذي أَمَّنَك فَمَنْ يُخِيفُك؟! بَلْ وَوَعَدَكَ بِجَنَّـاتٍ عَظِيمَـةٍ، قَالَ اللهُ: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ [طه:٧٥] وَهَكَذَا حَالُ مَنْ يَفْعَلُ الحَسَنَاتِ، وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، قَـالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٧] هَذَا مَا أُرِيدُ أَنْ أَصِلَ بِذِهْنِكَ إِلَيْـهِ، أَنْ تَكُـونَ مِـنْ هَـذَا الصِّـنْفِ، وَاللهَ أَسْـأَلُ أَنْ يَجْعَلَنِـي وَإِيَّـاكُم مِمَّـنْ قَـالَ فِـيهِم رَبُّهُم ﷻ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء:١٧٥]

٥- الحفاظُ على الذُّرِّيَّةِ وتأمينُ حياتِهم بعدَ موتِه

يَا مَنْ تُرِيدُ أَنْ تَطْمَئِنَّ عَـلَى أَوْلاَدِكَ بَعْـدَ مَوْتِـكَ اتَّـقِ اللهَ ﷻ فِي حَيَاتِـكَ يَـنْعَمُ أَوْلاَدَكَ مِنْ بَعْدِكَ بِحَيَاةٍ كَرِيمَةٍ، وَتَكُنْ تَقْـوَاكَ ذُخْـرًا لأَبْنَائِـكَ مِـنْ بَعْـدِكَ، فَلَـوْ فَكَّرْتَ لَحْظَةً وَاحِدَةً أَنَّكَ سَتُنْزَعُ مِنْ بَيْنِهِم -فَجْأَةً- نَزْعًا يَوْمًا مَا، وَتَرَكْتَهُمْ وَأُمَّهُمْ مِنْ بَعْدِكَ لَقَدَّمْتَ إِلَيْهِم خَيْرًا عَظِيمًا فِي حَيَاتِـكَ وَقَبْـلَ نَزْعِـكَ، فَـاتَّقِ اللهَ وَأَوْصِ أَبْنَاءَكَ بِتَقْوَاهُ قَبْلَ مَوْتِكَ، أَوْصِهِم أَنْ يَعِيشُـوا عَـلَى التَّوْحِيـدِ وَيَمُوتُـوا عَلَيْـهِ، أَنْ يَعِيشُوا لِهَذَا الدِّينِ العَظِيمِ وَيَمُوتُوا عَلَى مِلَّةِ نَبِيِّهِم الكَرِيمِ ﷺ؛ تِلْكُمُ المِلَّةِ الحَنِيفِيَّـةِ السَّمْحَةِ، انْظُرْ إِلَى نَبِيِّ اللهِ يَعْقُوبَ ﷺ عِنْدَمَا حَضَرَهُ المَوْتُ؛ بِمَاذَا أَوْصَى أَبْنَـاءَهُ؟!

وَتَعَلَّمْ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَوَصَايَا الأَنْبِيَاءِ: ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (البقرة:١٣٢) بَعْدَ نُـزُولِ هَـذِهِ الآيَـةِ قَـالَ اليَهُودُ المَلاَعِينُ: إِنَّ يَعْقُوبَ عِنْدَمَا حَضَرَهُ المَوْتُ جَمَعَ أَبْنَاءَهُ؛ لأَمْرٍ مُهِـمٍّ وَعَظِـيمٍ، وَقَالَ لَهُم: لاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ عَلَى اليَهُودِيَّةِ، فَكَذَّبَهُم رَبُّهُم مِنْ فَوْقِ سَـبْعِ سَـمَاوَاتٍ: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة:١٣٣) فَمِنَ المُمْكِنِ أَنْ تَمُوتَ فَجْأَةً فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ وَتَفْقِدَ حَيَاتَكَ، وَمَا أَكْثَرَ مَوْتَ الفُجَاءَةِ هَذِهِ الأَيَّـامَ!! فَهَلْ أَوْصَيْتَ أَوْلاَدَكَ مِنْ بَعْدِكَ بِتَقْوَى اللهِ؟! قَالَ ﷻ: ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴾ (النساء:٩)

اِنْظُرْ عِنْدَمَا صَاحَبَ سَيِّدُنَا مُوسَى ﷺ العَبْدَ الصَّالِحَ الخَضِرَ فِي رِحْلَتِهِ إِلَى قَرْيَةِ أَنْطَاكْيَةَ -وَكَانَتْ كُلُّهَا حِكَمًا وَعِبَرًا- وَخَاصَّةً عِنْدَمَا ذَهَبَ الاِثْنَانِ إِلَى هَذِهِ القَرْيَةِ، وَكَانَا جَائِعَيْنِ؛ فَطَلَبَا طَعَامًا فَأَبَى أَهْلُ القَرْيَةِ أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا، وَمَعَ ذَلِكَ بَنَـى العَبْـدُ الصَّالِحُ فِيهَا جِدَارًا، فَتَعَجَّبَ سَيِّدُنَا مُوسَى ﷺ وَقَالَ مِنْ وَجْهَةِ نَظَـرِهِ رغْـمَ أَنَّـهُ نَبِيٌّ؛ إِلاَّ أَنَّهُ بَشَرٌ ﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ (الكهف:٧٧)

لَنَا وَقْتٌ نَـرَى فَـوْقَ السَّـمَاءِ وَوَقْتٌ نَحْنُ فِيـهِ مِثْـلُ عُمْيَـانِ

إذَا مَـا اللهُ لَمْ يُظْهِـرْ لِعَبْـدِهِ فَـمَا أُذُنٌ وَمَـا قَلْـبٌ وَعَيْنَـانِ

وَعِنْدَمَا عَلِمَ الحِكْمَةَ مِنَ الجِدَارِ سُرْعَانَ مَا زَالَ عَجَبُهُ، وَسَبَبُ بِنَاء الجِدَارِ -كَمَا تَعَلَمُ- صَلاَحُ وَالِدِ الطِّفْلَيْنِ اليَتِيمَيْنِ ،فَقَدْ وَكَّلَ اللهُ لِلأَبْنَاءِ مَنْ يَحْفَظُ لَهُمَا مَالَهُمَا ، فَصَلاَحُ الآبَاءِ يَنْفَعُ الأَبْنَاءَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾[الكهف ٨٢] إذًا...صَلاَحُ الآبَاءِ يَنْفَعُ الأَبْنَاءَ؛ فَيَا مَنْ تُفَرِّجُ كُرَبَ النَّاسِ: لاَ تَنْدَمْ عَلَى فِعْلِكَ فَإِنَّ هَذَا العَمَلَ سَيَنْفَعُكَ فِي الدّنيَا وَالآخِرَةِ ثُمَّ يَنْفَعُ أَبْنَاءَكَ مِنْ بَعْدِك، فَلاَ تَقُلْ مِثْلَمَا يَقُولُ الجُهَلاَءُ: افْعَلِ الخَيْرَ وَارْمِهِ فِي البَحْرِ، أَيُّ بَحْرٍ هَذَا يَارَجُلُ الَّذِي تَقْصُدُهُ؟! فَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلا تُصَاحِبْ غَيْرَهُمْ..وَلاَ تُذْهِبْ إِيمَانَكَ بِسُهُولَةٍ..

وَكَـم للهِ مِـن لُطـفٍ خَفـيٍّ يَدِقُّ خَفاهُ عَن فَهمِ الذَكيِّ[1]
وَكَـم يُسرٍ أَتـى مِـن بَعـدِ عُسرٍ فَفَـرَّجَ كَربَـةَ القَلـبِ الشَـجيِّ
وَكَـم أَمـرٍ تُسـاءُ بِـهِ صَباحاً وَتَأتيـكَ المَسَرَّةُ بِالعَشيِّ
إِذا ضاقَت بِكَ الأَحـوالُ يَوماً فَثِـق بِالواحِـدِ الفَـردِ العَلِـيِّ
وَلا تَجـزَع إِذا مـا نـابَ خَطـبٌ فَكَـم للهِ مِـن لُطـفٍ خَفـيٍّ

(١) علي بن أبي طالب ٢٣ق.هـ- ٤٠هـ.

فَالإِيمَانُ يَحْمِي صَاحِبَهُ وَقْتَ الشَّدَائِدِ، كَانَ لِلإِمَامِ الشَّافِعِيِّ طَالِبُ عِلْمٍ صَالِحٌ، يَتَوَسَّمُ فِيهِ الخَيْرَ وَالصَّلاحَ، فَكَانَ يَقُولُ لَهُ نَاصِحًا: يَا غُلامُ إِنِّي أَرَى فِي وَجْهِكَ نُورَ الإِيمَانِ، فَلاَ تُذْهِبْ هَذَا النُّورَ بِظُلْمَةِ المَعْصِيَةِ، فَادْعُ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أَنْ يُبَاعِدَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ المَعَاصِي وَالذُّنُوبِ كَمَا بَاعَدَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ.

٦- حُبُّ اللهِ تَعَالَى لِلْمُتَّقِينَ

إِنَّهَا ثَمَرَةٌ مِنْ أَعْظَمِ الثَّمَرَاتِ؛ مَنَّ اللهُ بِهَا عَلَى العِبَادِ: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:٧٦] فَهَا هُوَ أَحَدُ الَّذِينَ أَحَبَّهُمُ اللهُ وَهُوَ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ ﷺ فَعَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ[١]: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ، قَالَ: آللَّهُ سَمَّانِي لَكَ؟! قَالَ: اللَّهُ سَمَّاكَ لِي، قَالَ: فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي». وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّهُ تَلاَ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨] نَعَمْ.. إِنَّهَا لَمَنْقَبَةٌ عَظِيمَةٌ لَمْ يُشَارِكْهُ فِيهَا أَحَدٌ مِنَ البَشَرِ، فَكُنْ تَقِيًّا فِي حِلِّكَ وَتِرْحَالِكَ، وَوَقْتِ مَحَبَّتِكَ وَكُرْهِكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧] فَقَدْ كَانَ أُبَيُّ بنُ كَعْبٍ أَقْرَأَ الأُمَّةِ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) (صحيح): البخاري ٣٨٠٩، مسلم ٧٩٩، الترمذي ٣٧٩٢، أحمد ١١٩١١.

(١): «أرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ. ....وأَقْرَؤُهُمْ أُبَيٌّ...» لأَنَّ الَّذِي عَلَّمَهُ وَقَرَأَ عَلَيْهِ القُرْآنُ هُوَ سَيِّدُ الأَنَامِ ﷺ.

وَتِلْكَ مَنْقَبَةٌ أُخْرَى لأَحَدِ الصَّحَابَةِ وَهُوَ عَبْدُ اللهِ بنُ عَمْرِو بنِ حَرَامٍ، فَبَعْدَ اسْتِشْهَادِهِ فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى جَابِرِ بنِ عَبْدِاللهِ بنِ عَمْرٍو، وَاسْتَمِعْ إِلَى جَابِرِ بنِ عَبْدِاللهِ وَهُوَ يَقُولُ(٢): لَمَّا قُتِلَ عَبْدُاللهِ بنُ عَمْرِو بنِ حَرَامٍ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ: يَا جَابِرُ أَلاَ أُخْبِرُكَ مَا قَالَ اللهُ لأَبِيكَ؟ قُلْتُ: بَلَى يَارَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ لَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا(٣)، وَقَالَ لَهُ: يَاعَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ. فَقَالَ عَبْدُاللهِ: يَارَبِّ أَعُودُ إِلَى الدُّنيَا ثَانِيَةً فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، فَقَالَ اللهُ: لَقَدْ سَبَقَ القَوْلُ مِنِّي (أَنَّهُم إِلَيْهَا لاَ يَرْجِعُونَ) قَالَ: يَا رَبِّ فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران١٦٩]

---

(١) (صحيح): الترمذي ٣٧٩٠، ابن ماجة ١٥٥، صحيح سنن ابن ماجة ١/ ٥٥.

(٢) (حسن): الترمذي٣٠١٣، صحيح سنن ابن ماجة ١/ ٦٨.

(٣) كفاحا: أي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول، وهذا بعد موته، أما قبله فلا..

٧- قبولُ العمل الصالح

قَالَ اللهُ ﷻ فِي شَأْنِ أَخَوَيْنِ تَصَارَعَا كُلٌّ مِنْهُمَا عَلَى الزَّوَاجِ مِنْ امْرَأَةٍ وَهِيَ أُخْتُ قَابِيلَ فَأَوْحَى اللهُ ﷻ إِلَيْهِمَا أَنْ يُقَرِّبَ كُلٌّ مِنْهُمَا قُرْبَانًا فَمَنْ تَقَبَّلَ اللهُ قُرْبَانَهُ يَتَزَوَّجُهَا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يَتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧]

يَقْرَأُ حَبِيبُ قَلْبِكَ مُحَمَّدٌ ﷺ عَلَى الصِّدِّيقَةِ بِنْتِ الصِّدِّيقِ عَائِشَةَ هَذِهِ الآيَةَ الكَرِيمَةَ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠] فَتَسْأَلُهُ: أَهُمُ الَّذِينَ يَزنُون وَيَشْرَبُونَ الخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ؟!، ولكنَّ النَّبِيَّ المَعْصُومَ يُصَحِّحُ المَفْهُومَ فَيَقُولُ[1]: «بَلْ هُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ». وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ ﷺ تَلا قَوْلَهُ ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧]

---

(١) (صحيح): الترمذي ٣١٧٥، ابن ماجة ٤١٩٨، السلسلة الصحيحة ١/ ٣٠٤.

فَشُرُوطُ قَبُولِ العَمَلِ كَمَا قَالَ الفَارُوقُ عُمَرُ: مَا كَانَ أَخْلَصَهُ وَأَصْوَبَهُ؛ أَيْ: أَنْ يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، خَالِصًا بِمَعْنَى: أَنْ يَكُونَ فِيهِ إِخْلاصٌ ونيَّةٌ وَتَقْوَى الله ﷻ سِرًّا وَعَلانِيَةً، وَصَوَابًا بِمَعْنَى: أَنْ يكُونَ العَمَلُ مُوَافِقًا لِهَدْيِ سَيِّدِ البَشَرِيَّةِ ﷺ.

وَكَانَ سَلَفُنَا الصَّالِحُ يَجْتَهِدُونَ فِي إِتْمَامِ العَمَلِ وَإِكْمَالِهِ وَإِتْقَانِهِ ثُمَّ يَهْتَمُّونَ بَعْدَ ذَلِكَ بِقَبُولِهِ، وَيَخَافُونَ مِنْ رَدِّهِ إِلَيْهِم، رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَوْلُهُ: كُونُوا لِقَبُولِ العَمَلِ أَشَدَّ اهْتِمَامًا مِنْكُم بِالعَمَلِ، أَلَمْ تَسْمَعُوا اللهَ ﷻ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧]؟! عَنْ فُضَالَةَ بنِ عُبَيْدٍ قَالَ[1]: "لأَنْ أَعْلَمَ أَنَّ اللهَ تَقَبَّلَ مِنِّي مِثْقَالَ حَبَّةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدّنيَا وَمَا فِيهَا؛ لأَنَّهُ يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧] فَاللهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ المتَّقِينَ.

٨-الفُرْقَانُ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال:٢٩] فَالفُرْقَانُ -لُغَةً- الصُّبْحُ الَّذِي يَفْرُقُ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وهُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ القُرْآنِ وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَ

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ١١٦.

الحَقِّ وَالبَاطِلِ، فَمَنْ كَانَ تَقِيًّا وَهَبَهُ اللهُ عَقْلاً سَلِيمًا وَقَلْبًا تَقِيًّا يُمَيِّزُ بِهِمَا بَيْنَ الحَلالِ وَالحَرَامِ وَالحَقِّ وَالبَاطِلِ وَتَرَاهُ ثَابِتًا عَلَى الحَقِّ لاَ يَلِينُ وَلاَ يَتَزَحْزَحُ.

عُقْبَةُ بنُ أَبِي مُعيطٍ لَمْ يَتَجَرَّأْ مُشْرِكٌ قَط مِثْلَمَا تَجَرَّأَ هَذَا الرَّجُلُ عَلَى النَّبِيِّ فَأَرَادَ أَنْ يَقْتُلَهُ لَوْلاَ لُطْفُ اللهِ ﷻ ثُمَّ وُجُودُ الصّدِّيقِ، وَوَضَعَ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ ﷺ رَوَثَ الحَيَوَانَاتِ وَهُوَ سَاجِدٌ للهِ العَلِيِّ الكَرِيمِ، هَذَا الرَّجُلُ صَفَا قَلْبُهُ لِلَحَظَاتٍ مَعْدُودَةٍ؛ فَقَرَأَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ القُرْآنَ فَمَسَّ الإِيمَانُ قَلْبَهُ فَأَسْلَمَ أَمَامَ النَّبِيِّ وَنَطَقَ الشَّهَادَةَ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى صَدِيقِهِ وَخَلِيلِهِ أُبَيِّ بنِ خَلَفٍ وَأَخْبَرَهُ الخَبَرَ، فَقَالَ: مِنَ الآنَ اخْتَرْ إِمَّا أَنْ تَكُونَ عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ وَإِمَّا صَدَاقَتِي وَدِينَ آبَائِنَا وَأَجْدَادِنَا، فَقَالَ: لاَ بَلْ صَدَاقَتَكَ وَدِينَ الآبَاءِ وَالأَجْدَادِ، وَكَفَرَ بِاللهِ الوَاحِدِ الأَحَدِ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ فِي شَأْنِهِ قُرْآنًا يُتْلَى إِلَى يَوْمِ الدِّينِ[1]، وَوَصَفَهُ اللهُ بِالظَّالِمِ؛ لأَنَّهُ أَشْرَكَ بَعْدَ تَوْحِيدٍ، وَكَفَرَ بَعْدَ إِيمَانٍ، وَصَدَقَ اللهُ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾ (الفرقان٢٧-٢٩) وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ

(١) قال في الدر المنثور: أخرجه ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس

عَلَيه الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢] فَـأَنْزَلَ اللهُ ﷻ فِي شَـأْنِ عُقْبَـةَ الآيَـتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ مِنْ سُورَةِ الفُرْقَانِ، وَفُلانٌ فِي الآيَةِ هُوَ أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ؛ فَـانْظُرْ إِلَى فِعْلِ الصِّدِّيقِ فِي صَدِيقِهِ وَانْظُرْ فِي نَفْسِكَ مَنْ تُصَادِقُ؟! يَقُولُ الرَّسُـولُ [1]: «الْمَـرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِطُ، وَقَالَ مُؤَمَّلٌ مَـنْ يُخَالِـلُ». فَاحْـذَرْ صَـدِيقَ السّوءِ؛ لأَنَّهُ يَصْحَبُكَ إِلَى المَهَالِكِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ الأَخِلاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف:٦٧].

٩-العِلْمُ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٨٢] فَيَا مَنْ تُرِيدُ تَعَلُّمَ وَحِفْظَ القُرْآنِ وَفَهْمَ سُنَّةَ النَّبِيِّ العَدْنَانِ ﷺ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى الله وَيَـا مَـنْ تُرِيـدُ عِلْمَ الدّنيَا أَوِ الدّينِ عَلَيْكَ بِتَقْوَى الله، وَاعْلَمْ أَنَّ العِلْمَ الشّرْعِيَّ هُوَ أَشْرَفُ العُلُومِ وَأَجَلُّهَا.

رُبَّ مَيِّتٍ قَـدْ صَـارَ بِـالعِلْمِ حَيًّـا ... وَمُبَقًّـى قَـدْ حَـازَ جَهْـلاً وَغَيًّـا
فَاقْتَنُوا العِلْـمَ كَـيْ تَنَـالُوا خُلُـودًا ... لاَ تَعُـدُّوا الحَيَـاةَ فِي الجَهْـلِ شَـيًّا

(١) (حسن): أحمد ٧٩٦٨، أبو داود ٤٨٣٣، الترمذي ٢٣٧٨، صحيح سنن أبي داود ٤/ ٢٥٩.

قَالَ رَسُولُ الله (١): «مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ».

فَادْعُ اللهَ ﷻ أَنْ يَزِيدَكَ عِلْمًا وَفِقْهًا، فاللهُ ﷻ لَمْ يَأْمُرْ نبيَّهُ ﷺ بِطَلَبِ زِيَادَةٍ فِي أَمـرٍ مِنَ الأُمُورِ كُلِّهَا إلاَّ فِي طَلَبِ العِلْمِ، قَالَ اللهُ تَعَـالَى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤] وَقَدْ جَعَلَ اللهُ أَوَّلَ آيَةٍ تَنْزِلُ فِي القُرْآنِ عَلَى قَلْبِ النَّبِيِّ العَدْنَانِ ﷺ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق١ -٤]

لوْ قَالَ أَحَدُنَا لأَخِيهِ: يَا جَاهِل، فَإِنَّهُ يَطِيرُ عَقْلَهُ غَضَبًا، وَرُبَّـمَا يَثُـورُ وَلاَ يَهْـدَأُ؛ لأَنَّهَا صِفَةٌ ذَمِيمَةٌ وَكَرِيهَةٌ إِلَى النُّفُوسِ كُلِّهَا؛ لِذَا فَاغْتَنِمْ وَقْتَكَ فِـيمَا يُفِيـدُك؛ إِمَّـا فِي قِرَاءَةٍ نَافِعَةٍ أَوْ حُضُور مَجلِس عِلْمٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ عَلامَةَ المُقْتِ إِضَاعَةُ الوَقْتِ.

تَعَلَّمْ إذَا مَـا كُنْـتَ لَسْـتَ بِعَـالِمٍ ... فَمَا العِلمُ إلا عِنـدَ أهْـلِ الـتَّعلُّمِ
تَعَلَّـمْ فَـإِنَّ العِلـمَ أَزْيَـنُ للفَتَـى ... مِنَ الحُلَّةِ الحَسْنَاءِ عِنـدَ التَّكَـلُّمِ

فالعِلمُ وخاصَّةً الشَّرعيُّ هُوَ أَعْظَمُ العُلُومِ، فَهُوَ تَاجٌ فوقَ رأسِ صَاحِبِهِ، ونورٌ يُضِيءُ لَهُ الطَّرِيقَ، أيْنَمَا حَلَّ وارْتَحَـلَ..وَلَقَـدْ سَـهَّلَ اللهُ الطَّرِيـقَ إِلَى الجَنَّـةِ لِطَـالِبِي العِلْمِ، وَجَعَلَ مَلائِكَتَهُ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُم، فعن أَبِي الدَّرْدَاءِ قـال (٢): سَـمِعْتُ رَسُـولَ

(١) (صحيح): البخارى ٧١، مسلم ١٠٣٧، ابن ماجة ٢٢١، أحمد ١٦٣٩٢

(٢) (صحيح): الترمذى ٢٦٨٢، ابن ماجة ٢٢٣، صحيح الجامع ٦٢٩٧.

اللهَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّـهُ لَـهُ طَرِيقًـا إِلَـى الْجَنَّـةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِـي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِـدِ كَفَضْـلِ الْقَمَـرِ عَلَـى سَـائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُـوا دِينَـارًا وَلا دِرْهَمًـا؛ إِنَّمَـا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» وَلَقَدْ فَرَقَ اللهُ بَيْنَ العَالِمِ وَغَـيْرِهِ فَقَـالَ: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[الزمر٩] وَرَفَعَ الـذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ فَقَالَ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[المجادلة١١] وَلَقَدْ خَصَّصَ الإِمَـامُ البُخَـارِيُّ فِي صَـحِيحِهِ بَابًـا بِعُنْوَانِ (العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ) لأَهَمِّيَّةِ وَخُطُورَةِ العِلْمِ؛ وَقَـدْ اسْتَشْـهَدَ-رَحِمَـهُ اللهُ-بِهَـــذِهِ الآيَـــةِ: ﴿فَـاعْلَمْ أَنَّـهُ لا إِلَـهَ إِلا اللَّـهُ وَاسْـتَغْفِرْ لِـذَنبِكَ وَلِلْمُـؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[محمد١٩] فَقَدْ جَعَلَ اللهُ العِلْمَ قَبْلَ التَّوْحِيـدِ، فَـالعِلْمَ العِلْـمَ.. أَيُّهَـا الحَبِيبُ؛ فَأَقْبِلْ عَلَيْهِ وَخَاصَّةً العِلْمَ الشَّرْعِيَّ وَمَجَالِسَ العِلْمِ بِشَـغَفٍ وَنَهَـمٍ؛ حَتَّـى تَعْبُدَ اللهَﷻ عِبَادَةً صَحِيحَةً؛ وَحَتَّى لاَ تُفْسِدَ مِنْ حَيْثُ تُرِيدُ الإِصْلاحَ، فَلَيْسَ كُـلُّ مُرِيدٍ لِلخَيْرِ يُدْرِكُهُ، فَكَمْ مِنْ أُنَاسٍ عَبَدُوا رَبَّهُـم عَـلَى غَـيْرِ عِلْـمٍ وَهُـدًى فَضَـلُّوا وَأَضَلُّوا!! وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُم يُحْسِنُونَ صُنْعًا! فَلَوْ نَفَعَ عِلْمٌ بِلا عَمَـلٍ لَمَـا ذَمَّ اللهُﷻ أَهْلَ الكِتَابِ الذِين عَلِمُوا وَلَمْ يَعْمَلُوا، وَقَـالُوا فِي غِلْظَـةٍ: سَـمِعْنَا وَعَصَـيْنَا، وَلَـوْ

نَفَعَ عَمَلٌ بِلا إِخْلاصٍ لمَا ذَمَّ اللهُ ﷻ المُنَافِقِينَ، لِذَا جَعَلَ اللهُ عَذَابَ المُنَافِقِينَ شَدِيدًا؛ فَقَالَ فِيهِمْ: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء١٤٤]

أَمَّا المُؤْمِنُونَ فَقَدْ مَدَحَهُمُ اللهُ وَرَحِمَهُمْ فَقَالَ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب٤٣] لأَنَّهُم عَلِمُوا وَعَمِلُوا، فَلاكَنْزَ أَنْفَعُ مِنَ العِلْمِ، وَلا شَرَفَ أَعَزُّ مِنَ الحِلْمِ وَالعَمَلِ؛ لِذَا فَاجْعَلْ حَيَاتَكَ كُلَّهَا للهِ ﷻ عَلَى فَهْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ؛ فَعَلَيْكَ بِسِتَّةِ أَشْيَاءَ لاَ تَغْفُلْ عَنْهَا: الفَهْمِ الدَّقِيقِ وَالإِيمَانِ العَمِيقِ وَالاتِّصَالِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الوَثِيقِ وَالسُّلُوكِ الرَّفِيقِ وَالخُلُقِ الشَّفِيقِ، وَلاَ تُفْتِ بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَإِيَّاكَ وَالفَتْوَى. .فَالكَثِيرُ مِنَّا إِذَا حَصَلَ عَلَى قَدْرٍ يَسِيرٍ مِنَ العِلْمِ ظَنَّ فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ أَصْبَحَ عَالِمًا؛ لَهُ حَقُّ الفَتْوَى! وَمَا أَكْثَرَ الشَّبَابَ أَرْبَابَ الفَتَاوَى فِي هَذِهِ الأَيَّامِ! تَسْأَلُهُ فَيُفْتِيكَ فَوْرًا، وَلاَ يَقُولُ: لاَ أَعْلَم. ظَنًّا مِنْهُ بِجَهْلِهِ الشَّدِيدِ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يُفْتِ لحَكَمَ النَّاسُ عَلَيْهِ بِالجَهْلِ! وَتِلْكُمْ مُصِيبَةٌ عُظْمَى، فَلْيَحْذَرْ هَؤُلاَءِ؛ وَلاَ يَتَكَلَّمُونَ بِغَيْرِ عِلْمٍ فِي دِينِ اللهِ؛ إِنَّهُمْ يُفْتُونَ وَيُوَقِّعُونَ عَنْ رَبِّ العَالَمِينَ.

إِذَا لَمْ تَكُنْ عَالِمًا بِالسُّؤَالِ فَتَرْكُ الجَوَابِ لَهُ أَسْلَمُ(١)
فَإِنْ أَنْتَ شَكَكْتَ فِيمَا سُئِلْتَ فَخَيْرُ جَوَابِكَ: لاَ أَعْلَمُ

فَفَتْوَاكَ بِغَيْرِ عِلْمٍ اسْتِهْزَاءٌ بِالإِسْلاَمِ الَّذِي مَنَحَكَ الخَيْرَ؛ فَالإِسْلامُ أَعْطَانَا كُلَّ شَيْءٍ، وَنَحْنُ لَمْ نُعْطِ الإِسْلامَ أَيَّ شَيْءٍ!! فَلاَ تَتَوَانَ لَحْظَةً فِي نَشْرِ تَعَالِيمِ هَذَا الدِّينِ العَظِيمِ عَلَى بَصِيرَةٍ؛ حَتَّى يَرْحَمَكَ اللهُ، فَتَقْوَى الله تُنِيرُ قَلْبَكَ، وَتُهَيِّئُ عَقْلَكَ؛ لِتَلَقِّي العِلْمِ النَّافِعِ، يَذْهَبُ الشَّافِعِيُّ إِلَى أُسْتَاذِهِ وَكِيعٍ؛ لِيَشْكُوَ لَهُ سوءَ حِفْظِهِ القُرْآنَ فَأَرْشَدَهُ إِلَى تَرْكِ المَعَاصِي وَالْتِزَامِ تَقْوَى الله فِي السِّرِّ وَالعَلَنِ...

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ المَعَاصِي
وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ العِلْمَ نُورٌ وَنُورُ الله لاَ يُهْدَى لِعَاصِي

١٠-الرِّزْقُ

الرِّزْقُ مَسْأَلَةٌ خَطِيرَةٌ تَشْغَلُ المؤْمِنَ وَالكَافِرَ مَعًا، وَلِلرِّزْقِ أَسْبَابٌ مَادِيَّةٌ يَسْتَوِي فِيهَا الكَافِرُ وَالمؤْمِنُ؛ فَالكَافِرُ -مَثَلاً- لَوْ زَرَعَ الأَرْضَ، وَاعْتَنَى بِهَا، وَرَوَاهَا بِالمَاءِ أَنْبَتَتْ؛ لأَنَّهُ أَخَذَ بِالأَسْبَابِ، أَمَّا المؤْمِنُ لَوْ جَلَسَ أَمَامَ أَرْضِهِ وَقَرَأَ القُرْآنَ كُلَّهُ وَدَعَا اللهَ أَنْ يُنْبِتَ الأَرْضَ وَهُوَ جَالِسٌ دُونَ أَنْ يَتَحَرَّكَ فَلَنْ يُنْبِتَهَا؛ لأَنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ

(١) صفي الدين الحلي ٦٧٥-٧٥٠ هـ.

بِالأَسْبَابِ الصَّحِيحَةِ لِلزِّرَاعَةِ، وَهُنَاكَ أَسْبَابٌ إِيمَانِيَّةٌ؛ وَهَـذَا الأَمْـرُ خَـصَّ اللهُ بِـهِ المُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ لاَ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَهُوَ البَرَكَةُ فِي كُلِّ مَا يُرْزَقُهُ؛ فَـلاَ تَحْسَبَنَّ أَنَّ الرِّزْقَ فِي المَالِ وَحْدَهُ، فَهَذَا مَفْهُـومٌ ضَـيِّقٌ بَـلِ الإِيـمَانُ بِـالله رِزْقٌ، وَطَاعَتُـهُ رِزْقٌ، وَحُبُّ النَّبِيِّ وَطَاعَتُهُ رِزْقٌ، وَحُبُّ الصَّحَابَةِ رِزْقٌ، وَالزَّوْجَةُ الطَّيِّبَةُ الصَّالِحَةُ رِزْقٌ، وَالأَوْلاَدُ الطَّيِّبُونَ رِزْقٌ، وَالصِّحَةُ وَالمَالُ وَالعِلْمُ رِزْقٌ، فَاحْرِصْ عَـلَى أَنْ تَكُـونَ فِي رِزْقِكَ مُتَوَكِّلاً لاَ مُتَوَاكِلاً؛ فَالسَّمَاءُ لاَ تُمْطِرُ ذَهَبًا وَلاَ فِضَّةً، فَالأَخْذُ بِالأَسْبَابِ سُـنَّةُ النَّبِيِّ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَى الله حَالُ النَّبِيِّ، إِذًا..لَنْ يُضِيِّعَ اللهُ النَّبِيَّ، وَمَنْ صَارَ عَـلَى نَهْـجِ النَّبِيِّ، قَالَ اللهُ لِلنَّبِيِّ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقـان٥٨] وَقَـالَ أَيْضًـا لِلمُـؤْمِنِينَ: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم١٢]

وَمِنَ الأَسْبَابِ الإِيمَانِيَّةِ أَيْضًا طَاعَةُ الله وَطَاعَةُ رَسُـولِهِ، قَـالَ اللهُ تَعَـالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات٥٦-٥٧] وَقَالَ اللهُ فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ[1]: «يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلا تَفْعَلْ مَلأْتُ يَدَيْكَ شُغْلاً وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ».. يَفْهَـمُ بَعْـضُ النَّاسِ هَذَا الحَدِيثَ فَهْمًا خَاطِئًا، وَلَوْ عَلِـمَ كُـلٌّ مِنَّـا مَعْنَـى العِبَـادَةِ لاتَّسَـعَ أُفُقُـهُ؛

---

(١) (صحيح) رواه الترمذى فى الرقاق ٢٤٦٦، ابن ماجة فى الزهد ٤١٠٧، صحيح الجامع

فَمَعْنَاهَا مُهِمٌّ، فَهِيَ تَسَعُ الحَيَاةَ كُلَّهَا؛ فَالحَيَاةُ لاَ تَقْتَصِرُ عَلَى الصَّلاةِ أَوِ الصِّيَامِ؛ فَالعِبَادَةُ بِإِيجَازٍ هِيَ كُلُّ عَمَلٍ صَحَّتْ فِيهِ النِّيَّةُ لِرَبِّ البَرِيَّةِ، وَسَارَ عَلَى هَدْيِ سَيِّدِ البَشَرِيَّةِ، حَتَّى فِي أَدَقِّ خُصُوصِيَّاتِ حَيَاتِكَ مَعَ زَوْجِك؛ فَأَنْتَ -حِينَئِذٍ- فِي عِبَادَةٍ، فَاجْعَلْ هَوَى نَفْسِكَ دَائِمًا تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ الله، لِذَا قَالَ عُمَرُ الفَارُوقُ: خَيْرُ العَمَلِ مَا كَانَ أَخْلَصَهُ وَأَصْوَبَهُ، أَيْ: خَالِصًا صَوَابًا؛ خَالِصًا: مَا كَانَ فِيهِ إِخْلاصٌ لله رَبِّ البَرِيَّةِ، وَصَوَابًا: مَا كَانَ مِنْهُ عَلَى هَدْيِ سَيِّدِ البَشَرِيَّةِ ﷺ وَلاَ تَجْعَلْ نَفْسَكَ تَسِيرُ عَلَى هَوَاهَا؛ فَمَنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ أَضَاعَ هُدَاهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾ [الفرقان٤٣] فَانْتَبِهْ؛ حَتَّى لاَ تَضِلَّ وَتُضِلَّ، فَنَفْسُكَ كَالنَّاقَةِ إِنْ رَكِبْتَهَا قُدْتَهَا إِلَى الخَيْرِ وَأَوْصَلَتْكَ، وَإِنْ رَكِبَتْكَ قَتَلَتْكَ، فَأَنْتَ تُرِيدُ الجَنَّةَ وَالرَّحْمَةَ فَاطْمَئِنَّ. .فَطَاعَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُؤَهِّلَةٌ لِلجَنَّةِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[1]: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إلا مَنْ أَبَى، قَالُوا يا رسُول اللَّهِ: ومنْ يأْبى؟! قال: منْ أطاعني دخل الْجنَّة، وَمَنْ عصَاني فقَدْ أَبَى».

فَإِنَّ الالْتِزَامَ بِالعِبَادَاتِ بَابٌ عَظِيمٌ مِنْ أَبْوَابِ رَحْمَةِ اللهِ ﷻ بِكَ؟! أَمَّا أَنْ تَبْتَعِدَ عَنِ العِبَادَاتِ وَتَتَحَجَّجَ بِأَنَّ قَلْبَكَ -وَالحَمْدُ لله- أَبْيَضُ، فَهَذَا أَمْرٌ عَجِيبٌ حَقًّا!! لاَ يَتَشَبَّثُ بِهِ إِلا الجُهَلاءُ، فَلِمَاذَا لَمْ تَسْقُطْ العِبَادَاتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ أَنْقَى قَلْبًا وَأَعْظَمُ مقَامًا؟!.

---

(١) (صحيح) البخاري ٧٢٨٠، مسلم ١٨٣٥، النسائي ٤١٩٣، ابن ماجه ٣

وَلاَ تَظُنَّ أَنَّكَ لَوْ أَغْلَقْتَ المحَلَّ أَثْنَاءَ الصَّلاةِ سَيَقِلُّ رِزْقُكَ، لاَ..اطْمَئِنَّ، سَيُبَارِكُ اللهُ فِي رِزْقِكَ حَتَّي لَوْ قَلَّ؛ قَالَ اللهُ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [طه١٣٢] وَلاَ تَظُنَّ أَنَّ الرِّزْقَ هُوَ كَثْرَةُ المَالِ، وَمِنْ هُنَا نَرَى اخْتِلافَ مَقَايِيسِ الخَلْقِ عَنِ مَقَايِيسِ الحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَالمثَلُ وَاضِحٌ: فَالنَّفْسُ دَائِمًا تَلْتَفِتُ إِلَى رِزْقِ الإِيجَابِ لاَ رِزْقِ السَّلْبِ؛ فَرَجُلٌ رَاتِبُهُ خَمْسِمِائَةُ جُنَيْهٍ، وَآخَرُ رَاتِبُهُ مَائَةُ جُنَيْهٍ، فَصَاحِبُ الرَّاتِبِ الأَوَّلِ الأَكْبَرِ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ أَبْوَابًا؛ تَحْتَاجُ إِلَى أَلْفِ جُنَيْهٍ، وَصَاحِبُ الرَّاتِبِ الأَصْغَرِ سَدَّ اللهُ أَمَامَهُ أَبْوَابًا؛ لاَ تَأْخُذُ مِنْهُ شَيْئًا، بَلْ رُبَمَا يَتَبَقَّى مِنْ رَاتِبِهِ نُقُودًا فِي نَهَايَةِ الشَّهْرِ!! فَرِزْقُ الإِيجَابِ يَزِيدُ الدَّخْلَ وَيُبَارِكُ رَبُّكَ فِيهِ، وَرِزْقُ السَّلْبِ يَسْلُبُهُ فِي المَهَالِكِ المخْتَلِفَةِ. وَكُنْ حَرِيصًا عَلَى أَنْ تَكْسَبَ مَالَكَ مِنْ طَرِيقٍ مَشْرُوعٍ يَسْتَجِبِ اللهُ دُعَائَكَ وَيُصْلِحْ لَكَ حَالَكَ..فَفِي الحَدِيثِ[1]: ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!». قَالَ ابنُ دَقِيقٍ[2]: "قَوْلُهُ (ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ ....الحَدِيث) مَعْنَاهُ-وَاللهُ أَعْلَمُ- يُطِيلُ السَّفَرَ فِي وُجُوهِ الطَّاعَاتِ: الحَجِّ وَالجِهَادِ

---

(١) (صحيح): أحمد٢/ ٣٢٨، مسلم٢٣٤٣، الترمذي٢٩٨٩.

(٢) شرح الأربعين النووية.

وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ وُجُوهِ البِرِّ، وَمَعَ هَـذَا فَـلاَ يُسْـتَجَابُ لَـهُ لِكَـوْنِ مَطْعَمِـهِ وَمَشْرَبِـهِ وَمَلْبَسِهِ حَرَامٌ، فَكَيْفَ بِمَنْ هُوَ مُنْهَمِكٌ فِي الدّنيَا أَوْ ظَالِمٌ لِلعِبَادِ أَوْ مِنَ الغَافِلِينَ عَنْ أَنْوَاعِ العِبَادَاتِ وَالخَيْرَاتِ"

المَـالُ يَـذْهَبُ حِلُّـهُ وَحَرَامُـهُ — يَوْمًـا وَتَبْقَـى فِي غَـدٍ آثَامُـهُ
لَـيْسَ التَّقِـيُّ بِمُتَّـقٍ لإِلَهِـهِ — حَتَّـى يَطِيـبَ شَرَابُـهُ وَطَعَامُـهُ
وَيَطِيبُ مَا يَحْوِي وَتَكْسبُ كَفُّـهُ — وَيَكُونُ فِي حُسْنِ الحَدِيثِ كَلاَمُـهُ
نَطَـقَ النَّبِـيُّ لَنَـا عَـنْ رَبِّـهِ — فَعَـلَى النَّبِـيِّ صَـلاَتُهُ وَسَـلاَمُهُ

١١-الخُرُوجُ مِنَ الأَزَمَاتِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٩٠] فَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا، فَهَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ بن أَدْهَمَ كَانَتْ لَدَيْـهِ قِطَّـةٌ، فَخَطَفَـتْ قِطْعَةَ لَحْمٍ مِنْ أَمَامِهِ، وَذَهَبَتْ مُسْرِعَةً، فَسَارَ خَلْفَهَا مُسْرِعًا، فَوَجَدَهَا وَهِيَ تَضَعُهَا فِي حُفْرَةٍ صَغِيرَةٍ فِي الأَرْضِ، ثُـمَّ وَجَـدَ فِي الحُفْـرَةِ الصَّـغِيرَةِ حَيَّـةً عَمْيَـاءَ، فَقَـالَ: سُبْحَانَ مَنْ سَخَّرَ الأَعْدَاءَ يَرْزُقُ بَعْضُهُم بَعْضًا، فَإِنَّ اللهَ يَرْزُقُ الأَعْدَاءَ أَفَلاَ يَـرْزُقُ الأَتْقِيَاءَ؟! فعِشْ فِي الدّنيَا، وَاجْعَلْ الآخِـرَةَ هَمَّـكَ، قَـالَ رَسُـولُ اللهِ[1]: «مـنْ كانـتْ

---

(١) (صحيح) الترمذي ٢٤٦٥ صحيح سنن الترمذي ٤٢

الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ». إذًا مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ الرِّزْقِ التَّوَكُّلُ وَطَاعَةُ الله وَرَسُولِهِ وَتَقْوَى الله، وَهُنَاكَ أَسْبَابٌ أُخْرَى مِثْل صِلَةِ الرَّحِمِ قَالَ رَسُولُ الله(١): «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» وَكَذَلِكَ الشُّكْرُ قَالَ الله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم٧] وَكَذَلِكَ الاسْتِغْفَارُ وَالصَّلاةُ وَالتَّقْوَى وَالتَّوَكُّلُ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق٢-٣] وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق٤-٥] فَاللهُ هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ لَكَ مِنْ أَمْرِكَ يُسْرًا وَخَاصَّةً وَقْت هَمِّكَ وَغَمِّكَ أَوْ وَقْت مَرَضِكَ وَضَعْفِكَ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَظُنَّ أَنَّ هَذَا الطَّبِيبَ أَوْ ذَاكَ سَيُنْجِيكَ مِنْ أَزْمَةٍ مُعَيَّنَةٍ إِلاَّ بِأَمْرِ الله؛ فَالطَّبِيبُ جَعَلَهُ رَبُّكَ سَبَبًا، وَلَيْسَ كُلَّ الأَسْبَابِ!!.

(١) (صحيح): البخاري ٥٩٨٦، مسلم ٢٥٥٧، أبو داود ١٦٩٣، الترمذي ٢٤٦٥، أحمد ١٢١٧٨.

إنَّ الطَّبيبَ بطِبِّهِ وَدَوائِهِ ... لا يَستَطيعُ دِفاعَ مَكروهٍ أتى[1]
ما لِلطَّبيبِ يَموتُ بِالداءِ الَّذي ... قَد كانَ يُبرِئُ جُرحَهُ فيما مَضى
ذَهَبَ المُداوي وَالمُداوى وَالَّذي ... جَلَبَ الدَواءَ وَباعَهُ وَمَنِ اشتَرى

نَعَمْ...فَإِنَّ العَمَلَ الصَّالِحَ يَنْفَعُ صَاحِبَهُ وَقْتَ الشِّدَّةِ؛ فَأَكْثِرْ مِنْهُ تَكُنْ مِنَ النَّاجِينَ..أَلَمْ تَسْمَعْ بِخَبَرِ الثَّلاثَةِ الَّذِينَ دَخَلُوا الغَارَ ثُمَّ أَوْحَى اللهُ إِلَيْهِم أَنْ قَرِّبُوا عَمَلاً صَالِحًا؛ حَتَّى يُفَرِّجَ اللهُ عَنْكُم مَا أَنْتُم فِيهِ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ أَنَّهُ قَالَ[2]: «بَيْنَمَا ثَلاثَةُ نَفَرٍ يَتَمَشَّوْنَ، أَخَذَهُمْ الْمَطَرُ. فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ، فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: انْظُرُوا أَعْمَالاً عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لِلَّهِ فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِهَا؛ لَعَلَّ اللَّهَ يَفْرُجُهَا عَنْكُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَامْرَأَتِي وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ أَرْعَى عَلَيْهِمْ، فَإِذَا أَرَحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ فَسَقَيْتُهُمَا قَبْلَ بَنِيَّ، وَأَنَّهُ نَأَى بِي ذَاتَ يَوْمٍ الشَّجَرُ فَلَمْ آتِ؛ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا قَدْ نَامَا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ، فَجِئْتُ بِالْحِلابِ؛ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ قَبْلَهُمَا، وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ؛ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً؛ نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ،

---

(١) أبو العتاهية ١٣٠ - ٢١١هـ

(٢) (صحيح): البخاري ٢٢١٥، مسلم ٢٧٤٣، أبو داود ٣٣٨٧، ، احمد ٥٩٣٧

فَفَرَجَ اللَّهُ مِنْهَا فُرْجَةً فَرَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ، وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، وَطَلَبْتُ إِلَيْهَا نَفْسَهَا فَأَبَتْ؛ حَتَّى آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ فَتَعِبْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَجِئْتُهَا بِهَا فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا، قَالَتْ: يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تَفْتَحْ الْخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ. فَقُمْتُ عَنْهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً فَفَرَجَ لَهُمْ، وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ، فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ قَالَ: أَعْطِنِي حَقِّي فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ فَرَقَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ؛ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا، فَجَاءَنِي فَقَالَ: اتَّقِ اللَّهَ وَلا تَظْلِمْنِي حَقِّي، قُلْتُ: اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا فَخُذْهَا، فَقَالَ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تَسْتَهْزِئْ بِي. فَقُلْتُ: إِنِّي لا أَسْتَهْزِئُ بِكَ خُذْ ذَلِكَ الْبَقَرَ وَرِعَاءَهَا. فَأَخَذَهُ فَذَهَبَ بِهِ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ، فَفَرَجَ اللَّهُ مَا بَقِيَ».

١٢-لاَ يَخَافُونَ وَلاَ يَحْزَنُونَ

فَالمؤمِنُ الحَقُّ وَعَدَهُ اللهُ بِعَدَمِ الخَوْفِ أَوِ الحَزَنِ؛ فلاَ يَخَافُ وَلاَ يَحْزَنُ، قَالَ اللهُ فِي شَأْنِهِم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (فصلت: ٣٠) فَالإِنْسَانُ مِنَّا مَاضٍ وَحَاضِرٌ وَمُسْتَقْبَلٌ فِي الدّنيَا، فَالخَوْفُ يَكُونُ مِنْ شَيْءٍ قَادِمٍ، كَمَا وَرَدَ فِي التَّفَاسِيرِ كُلِّهَا، فَالإِنْسَانُ غَالِبًا مَا يَخَافُ المسْتَقْبَلَ؛ فَيُفَكِّرُ فِيهِ كَثِيرًا، وَالحُزْنُ يَكُونُ عَلَى شَيْءٍ فَائِتٍ، مِثْلِ فُرْصَةٍ أَتَتْهُ وَلَمْ يَنْتَهِزْهَا، وَلَكِنَّهُ الآنَ لَمْ وَلَنْ يَخَافَ أَوْ يَحْزَنَ؛ فَهَلْ هُنَاكَ فُرْصَةٌ مَهْمَا عَظُمَتْ

يَحْزَنُ عَلَيْهَا الإِنْسَانُ تُسَاوِي الخُلُودَ فِي الجَنَّةِ وَالنَّظَرَ إِلَى وَجْهِ اللهِ الكَـرِيمِ؟! وَهُـوَ -أَيْضًا- فِي حَاضِرِهِ مَشْغُولٌ بِأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَمَصَالِحِهِ، أَمَّا فِي الآخِرَةِ فَيَنْشَـغِلُ بِنَعِيمِـهِ وَتَنَعُّمِهِ عَنْ هَؤُلاَءِ الثَّلاثَةِ، فِي يَوْمٍ لَوْ غُمِسَ أَحَدُ المـؤْمِنِينَ غَمْسَـةً فِي الجَنَّـةِ -وَهُـوَ أَشَدُّ النَّاسِ بَلاءً فِي الدّنيَا- فَيَقُولُ: مَا رَأَيْتُ بَلاَءً قَطّ.. يَنْسَى كُلَّ بَلائِـهِ وَشَـقَائِهِ فِي الدّنيَا بِغَمْسَةٍ وَاحِدَةٍ، سُبْحَانَ المنْعِمِ العَظِيمِ، يَقُولُ رَسُولُ اللهِ[1]: يُؤْتَى بِأَشَدِّ المؤمِنِينَ ضُرًّا وَبَلاءً. فَيُقَالُ: اغْمِسُوهُ فِي الجنَّةِ. فَيُغْمسُ فِيهَـا غَمْسَـةً، فَيُقَـالُ: أَيْ فُـلانُ: هَـلْ أَصَابَكَ خَيْرٌ قَط أَوْ بَلاَءٌ؟! فَيَقُولُ: مَا أَصَابَنِي قَـطّ ضُـرٌّ أَوْ بَـلاَءٌ، بَـلْ إِنَّ مَوْضِـعَ سَـوْطِ أَحَدِهِمْ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنيَا وَمَا فِيهَا؛ فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّـاعِدِيِّ قَـالَ قَـالَ رَسُولُ اللهِ[2]: «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» فَالمؤْمِنُ التَّقِيُّ مَوْعُـودٌ مِنْ رَبِّهِ بِالأَجْرِ الكَرِيمِ، ذَكَرَ اللهُ هَذَا الأَمْرَ عَلَى لِسَانِ الرُّسُلِ جَمِيعًا: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف:٣٥] أَمَّا أَهْلُ النَّارِ فَهُمْ فِيهَا، يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُـونَ؛ لِلعَـذَابِ وَالجَحِـيمِ وَالعِيَاذُ بِاللهِ مِنْهَا.. فَتُبْ سَرِيعًا، وَأُبَشِّرُكَ أَنَّهُ مَهْمَا عَظُمَتْ ذُنُوبُكَ فَعَفْوُ اللهِ أَعْظَمُ؛ فَأَقْبِلْ عَلَى رَبِّكِ وَأَبْشِرْ.

---

(١) (صحيح): أحمد ١٢٦٩٩، مسلم٢٧٠٧

(٢) (صحيح) البخارى ٣٢٥٠، مسلم ١٨٨١، الترمذى ١٦٤٨، النسائى ٣١١٨، ابن ماجة ٢٧٥٦

فَاتَّقِ اللهَ وَسَارِعْ إِلَى إِرْضَائِهِ يَمُنّ عَلَيْكَ بِدُخُولِ الجَنَّةِ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[1]: «إِنَّ اللَّـهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟! فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟! فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي؛ فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا».

١٣-تَحْقِيقُ مَصْلَحَةِ الإِنْسَانِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر٩٩] فَاعْلَمْ-بِدَايَةً-أَنَّهُ مَا شُرِّعَتِ العِبَادَاتُ إِلاَّ لِذِكْرِ اللهِ؛ وَتَحْقِيقِ مَصْلَحَةِ الإِنْسَانِ وَتَزْكِيَتِهِ وَتَطْهِيرِهِ وَإِبْعَادِهِ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَإِدْخَالِ تَقْوَى اللهِ فِي قَلْبِهِ..

قَالَ اللهُ فِي الصَّلاةِ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت٤٥]

وَقَالَ اللهُ فِي الصِّيَامِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة١٨٣]

---

(١) (صحيح): البخاري ٦٥٤٩، مسلم ١٨٣، الترمذي ٢٥٥٥، أحمد ١١٤٢٥.

وَقَالَ اللهُ فِي الزَّكَاةِ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة١٠٣]

وَقَالَ اللهُ فِي الحَجِّ: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج٢٦-٢٧]

لِذَا يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُقِيمَ الدِّينَ فِي أَهْلِكَ وَأَيِّ مَكَانٍ تَحُلُّ بِهِ؛ لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى فِي شَأْنِ أَنْبِيَائِهِ: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى١٣]

وَلَقَدْ أَخْبَرَنَا اللهُ ﷻ عَنِ المتَرَاحِمِينَ، وَالَّذِينَ امْتَلأَتْ قُلُوبُهُم إِيمَانًا بِاللهِ ﷻ وَطَاعَةً لِرَسُولِهِ ﷺ، وَأَقَامُوا الدِّينَ فِي الأَرْضِ، فَرَقَّتْ عَوَاطِفُهُم فَكَانُوا أَهْلاً لِرَحْمَةِ رَبِّهِم، فَقَالَ فِيهِم ﷻ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة٧١]

وَقَالَ ﷻ أَيْضًا فِي شَأْنِهِم: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور٥٦] لِذَا.. فَالعِبَادَاتُ وَطَاعَةُ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ بَابَانِ عَظِيمَانِ مِنْ أَبْوَابِ الخَيْرِ بَلْ هُمَا أَعْظَمُهَا عَلَى الإِطْلَاقِ؛ أَنْ تَكُونَ طَائِعًا للهِ ﷻ وَلِرَسُولِ اللهِ ﷺ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل

عمران١٣٢].

وَالْتَـزِمْ العِبَـادَاتِ؛ فَالمحَافَظَـةُ عَلَيْهَـا مَغْـنَمٌ عَظِـيمٌ لِصَـاحِبِهَا، وَاسْـتَمِعْ جَيِّدًا مَـاذَا قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ فِي فَضْـلِ كُـلٍّ مِنْهَـا بِإِيجَـازٍ؟! لِـتَعْلَمَ كَـمْ مِـنْ ثَـوَابٍ كَـرِيمٍ فَاتَـكَ؟! قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ فِي شَـأْنِ الصَّـلاةِ مُـبَشِّرًا صَـاحِبَهَا بِرَحْمَـةِ مَـوْلاَهُ: فعَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَـالَ[1]: «لا يَـزَالُ الْعَبْـدُ الْمُسْـلِمُ فِـي صَـلاَةٍ مَـا دَامَ فِـي مُصَـلاَّهُ قَاعِـدًا، وَلا يَحْبِسُـهُ إِلاَّ انْتِظَـارُ الصَّـلاةِ، وَالْمَلائِكَـةُ يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ مَا لَمْ يُحْدِثْ».

وَقَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ فِي شَـأْنِ الصِّـيَامِ[2]: «مَـنْ صَـامَ رَمَضَـانَ إِيمَانًـا وَاحْتِسَـابًا غُفِـرَ لَـهُ مَـا تَقَدَّمَ مِـنْ ذَنْبِـهِ»، وَالصَّـومُ طَرِيـقٌ مُمَهَّـدٌ إِلَى الجَنَّـةِ، يَـأْتِي أَبُو أُمَامَـةَ رضي الله عنه إِلَى النَّبِـيِّ وَيَقُـولُ: يَـا رَسُـولَ اللهِ: مُـرْنِي بِعَمَـلٍ يُـدْخِلُنِي الجَنَّـةَ، قَـالَ [3]: «عَلَيْـكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لا مِثْلَ لَهُ».

وَفِي حَـدِيثٍ آخَـرَ فِي شَـأْنِ الزَّكَـاةِ وَالإِنْفَـاقِ وَخَاصَّـةً الصَّـدَقَةَ السِّرِّيَّـةَ:

---

(١) (صحيح): البخاري ١٧٦، مسلم ٦٤٩، أبو داود ٤٦٩، الترمذي ٢١٥، النسائي ٤٨٦.

(٢) (صحيح): البخاري ٣٨، مسلم ٧٦٠، أبوداود ١٣٧١، الترمذي ٦٨٣، النسائي ٢١٩٨

(٣) (صحيح): النسائي ٢٢٢٠، صحيح الجامع ٤٠٤٤.

عَنْ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ(١): «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ». فَاعْمَلْ جَاهِدًا، لِكَيْ يُحِبَّكَ اللهُ، وَطَهِّرْ مَالَكَ؛ فَاللهُ لاَ يَقْبَلُ صَدَقَةً مِنْ مَالٍ حَرَامٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ(٢): «لا تُقْبَلُ صَلاةٌ بغَيْرِ طُهُورٍ، وَلا صَدَقَةٌ مِنْ غُلُولٍ». وَيَقُولُ رَسُولُ اللهِ فِي شَأْنِ الحَجِّ(٣): «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّه».

أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: إِنَّ الالْتِزَامَ بِالعِبَادَاتِ بَابٌ عَظِيمٌ مِنْ أَبْوَابِ رَحْمَةِ اللهِ ﷻ بِكَ؟! أَمَّا أَنْ تَبْتَعِدَ عَنِ العِبَادَاتِ وَتَتَحَجَّجَ بِأَنَّ قَلْبَكَ -وَالحَمْدُ لله- لَأَبْيَضُ، فَهَذَا أَمْرٌ عَجِيبٌ حَقًّا!! لاَ يَتَشَبَّثُ بِهِ إِلا الجُهَلاءُ، فَلِمَاذَا لَمْ تَسْقُطْ العِبَادَاتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ وَهُوَ أَنْقَى قَلْبًا وَأَعْظَمُ مقَامًا؟!.

فَاجْعَلْ هَوَى نَفْسِكَ دَائِمًا تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلاَ تَجْعَلْ نَفْسَكَ تَسِيرُ عَلَى هَوَاهَا؛ فَمَنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ أَضَاعَ هُدَاهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان:٤٣]فَانْتَبِهْ؛ حَتَّى لاَ تَضِلَّ وَتُضِلَّ، فَنَفْسُكَ كَالنَّاقَةِ إِنْ رَكِبْتَهَا قُدْتَهَا إِلَى الخَيْرِ

---

(١) (صحيح): مسلم ٢٩٦٥.

(٢) (صحيح): مسلم ٢٢٤، الترمذي ١، ابن ماجة ٢٧٢.

(٣) (صحيح): مسلم ١٣٥٠، الترمذي ٨٨١، النسائي ٢٦٢٧، ابن ماجة ٢٨٨٩.

وَأَوْصَلَتْكَ، وَإِنْ رَكِبْتَكَ قَتَلَتْكَ، فَأَنْتَ تُرِيدُ الْجَنَّةَ وَالرَّحْمَةَ فَاطْمَئِنَّ..فَطَاعَةُ رَسُولِ الله مُؤَهِّلَةٌ لِلجَنَّةِ، قَالَ رَسُولُ الله (١): «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إلا مَنْ أَبَى، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: ومَنْ يأْبى؟! قالَ: مَنْ أطاعني دخَلَ الْجَنَّة، وَمَنْ عَصَانِي فقَدْ أَبَى».

١٤-الرَّحْمَةُ

عَلَى العَبْدِ الفَطِنِ أَنْ يَعْمَلَ عَلَى أَنْ تَتَنَزَّلَ عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللهﷻ بِعَمَلِ الطَّاعَاتِ وَالقُرُبَاتِ، وَخَاصَّةً بِأَنْ يَرْحَمَ عِبَادَ اللهﷻ، رَأَى رَسُولُ الله أَبَا مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيّ يَضْرِبُ غُلامًا لَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ (٢): «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، للهُ أَقْدَرُ مِنْكَ عَلَى هَذا العَبْدِ، فَكَفَّ عَنْ ضَرْبِهِ، وَهَا هُوَ أَبُو مَسْعُودٍ يَحْكِي المَوْقِفَ بِنَفْسِهِ، قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي: اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ: فَلَمْ أَفْهَمْ الصَّوْتَ مِنْ الْغَضَبِ، قَالَ: فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إذا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذا هُوَ يَقُولُ: اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، قَالَ: فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي، فَقَالَ: اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذا الْغُلامِ، قَالَ فَقُلْتُ: لا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا، فَقالَ النَّبِيُّ: لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ» وَأَنْ يُقْبِلَ كُلٌّ مِنَّا عَلَى رَبِّهِ

---

(١) (صحيح): البخاري ٧٢٨٠، مسلم ١٨٣٥، النسائي ٤١٩٣، ابن ماجة ٣

(٢) (صحيح) مسلم١٦٥٩، أبو داود٥١٥٩، الترمذي١٩٤٨، أحمد١٦٦٣٨

ﷻ بالتَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ؛ لأَنَّهُ سَيُقَابِلُهُ رَبٌّ رَحِيمٌ ﷻ قَدْ فتحَ لَهُ وَلِجَمِيعِ عِبَادِهِ بَابَ التَّوْبَةِ عَلَى مصْرَاعَيْهِ لاَ يُغْلَقُ إِلَى أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، رَبٌّ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَالمعَاصِيَ وَيَسْتُرُهَا وَيُبَدِّلُ السَّيئةَ الحَسَنَةَ وَيَعفُو عَنْ كَثِيرٍ، فَخَابَ وَخَسِرَ مَنْ لَمْ تَسَعْهُ رَحْمَةُ الله ﷻ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، قَالَ رَسُولُ الله (١): «خَابَ عَبْدٌ وَخَسِرَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ تَعَالَى فِي قَلْبِهِ رَحْمَةً لِلبَشَرِ». فَالتَّقْوَى مُؤَهِّلٌ مُهِمٌّ مِنْ مُؤَهّلاتِ الرَّحْمَةِ، وَالرَّحْمَةُ ثَمَرَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ ثِمَارِ التَّقْوَى، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [يس:٤٥] فَالله ﷻ أَعَدَّ الجَنَّةَ وَسَمَّاهَا الرَّحْمَةَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ(٢): «اخْتَصَمَتْ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهِمَا، فَقَالَتْ الْجَنَّةُ: يَا رَبِّ مَا لَهَا لا يَدْخُلُهَا إلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاس وَسَقَطُهُمْ، وَقَالَتْ النَّارُ: يَعْنِي أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، فَقَالَ اللَّهُ-تَعَالَى-لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي، وَقَالَ لِلنَّار: أَنْتِ عَذَابِي؛ أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، قَالَ: فَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا، وَإِنَّهُ يُنْشِئُ لِلنَّار مَنْ يَشَاءُ فَيُلْقَوْنَ فِيهَا؛ فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ثَلاثًا؟! حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَمْتَلِئُ وَيُرَدُّ بَعْضُهَا إِلَى

---

(١) (حسن): صحيح الجامع ٣٢٠٥.

(٢) (صحيح): البخاري ٧٤٤٩، مسلم ٢٨٤٦، الترمذي ٢٥٥٧.

بَعْض، وَتَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ(١)» .وَقَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران ١٠٧] بَلْ لَنْ تَدْخُلَ الرَّحْمَةَ (الجَنَّة) إلا بِرَحْمَةٍ مِنَ اللهِ ﷻ حَتَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ بِدَلِيلِ الحَدِيثِ(٢): «لَنْ يُدْخِلَ أحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: لا وَلا أَنَا إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَلا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ»، بَلْ كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهَؤُلاءِ الدَّعَوَاتِ لأَصْحَابِهِ(٣): «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ»، أَيْ: مَعَ شُمُولِنَا بِرَحْمَتِكَ وَلَيْسَتِ الطَّاعَةُ وَحْدَهَا مُبَلِّغَةً الجَنَّةَ. .فَهَلاَّ أَطَعْتَ رَبَّكَ وَالْتَزَمْتَ بِمَا كَلَّفَكَ بِهِ حَتَّى تَكُونَ مِنَ المؤْمِنِينَ المرْحُومِينَ؟! لِيُؤْتِيَكَ اللهُ نَصِيبَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيَجْعَلَ لَكَ نُورًا، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

---

(١) قط: حَسْبِي حَسْبِي، أي: كَفَى كَفَى كَفَى.

(٢) (صحيح): البخاري ٥٦٧٣، مسلم ٢٨١٦، النسائي ٥٠٣٤، ابن ماجة ٤٢٠١

(٣) (حسن): الترمذي ٣٥٠٢، صحيح الجامع ١٢٦٨

واللهُ غفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد ٢٨] بَلْ وَيَجْعَلُ لَكَ وُدَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَأَيَّةُ بِشَارَةٍ هَذِهِ مِنْ كِتَابِ رَبِّنَا ﷻ!! أَنْ يُحِبَّكَ وَيُقَرِّبَكَ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم٩٦] فَاسْأَلِ اللهَ الجَنَّةَ، فَقَدْ كَانَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِهِ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ هَدَيْتَنِي إِلَى الإِسْلاَمِ دُونَ أَنْ أَسْأَلَكَ؛ فَاهْدِنِي إِلَى الجَنَّةِ، وَأَنَا أَسْأَلُكَ؛ فَالصَّبْرُ طَرِيقُ الجَنَّةِ..

١٥-المَقَامُ الأَمِينُ:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان ٥١-٥٤] فَمَا أَجْمَلَ وَأَعْظَمَ هَذِهِ الكَلِمَةَ (أَمِين)!! فَإِنَّ اللهَ يُؤَمِّنُ المتَّقِينَ يَوْمَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ يَوْمَ يَفْزَعُ النَّاسُ جَمِيعًا إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر ٤٣-٤٤] "سَمِعَهَا سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ فَفَرَّ مِنْ أَمَامِ النَّبِيِّ لِمُدَّةِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ لاَ يَرَى النَّبِيَّ؛ وَلاَ يَرَاهُ النَّبِيُّ، وَعَيْنُهُ- فِي هَذِهِ الأَيَّامِ - لاَ تَغْفُلُ وَلاَ تَنَامُ مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ حَتَّى عَلِمَ النَّبِيُّ بِخَبَرِهِ، فَجَاءَ سَلْمَانُ إِلَى النَّبِيِّ فَسَأَلَهُ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟! قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَقَدْ قَطَّعَتْ قَلْبِي هَذِهِ الآيَةُ؛ فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةً أُخْرَى أَمَانًا لَهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ فَهَدَأَ قَلْبُ سَلْمَانَ وَسَكَنَ؛ لأَنَّ المتَّقِينَ مُؤَمَّنُونَ مِنْ عَذَابِ الله يَوْمَ القِيَامَةِ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم:٧٢]"[1].

بَلْ إِنَّ المتَّقِينَ فِي أَعْلَى مَكَانٍ فِي الجَنَّةِ وَهَذَا وَعْدُ الله لَهُم فَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ الله قِيلاً!! قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزمر:٢٠] فِي هَذَا اليَوْمِ العَظِيمِ يَنْدَمُ الإِنْسَانُ نَدَمًا لَمْ يَنْدَمْ مِثْلَهُ قَطُّ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ [الزمر:٥٦] يَوْمَ يَتَمَنَّى الإِنْسَانُ فَلاَ يَجِدُ مَا يَتَمَنَّاهُ أَمَامَهُ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر:٢٣-٢٤] فَيُجِيبُ مَوْلاَهُ قَائِلاً: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ [الفجر:٢٥-٢٦] ثُمَّ يَصْطَفِي رَبُّكَ النَّفْسَ التَّقِيَّةَ الصَّالِحَةَ فَيُدْخِلُهَا فِي عِبَادِهِ الأَتْقِيَاءِ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ثُمَّ يَجْعَلُ مَثْوَاهَا الجَنَّةَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي

(١) ذكرها القرطبي في تفسيره.

وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (الفجر ٢٧-٣٠) لِمَاذَا؟ لأَنَّ الآخِرَةَ لِلْمُتَّقِينَ قَالَ رَبُّكَ: ﴿ وَالآخرةُ عند ربك للمتقين ﴾ (الزخرف ٣٥) أَلَمْ تَقْرَأْ قَوْلَ مَوْلاَكَ: ﴿ وَمَا الحياةُ الدُّنيا إلاَّ لعبٌ ولهوٌ وللدارُ الآخرةُ خيرٌ للذين يتقون أفلا تعقلون ﴾ (الأنعام ٣٢) .

وَعَنْ مُحَمَّدِ بنِ مَعْدَان قَالَ: أَتَتْ امْرَأَةٌ إِلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ المؤْمِنِينَ: إِنَّ زَوْجِي يَصُومُ النَّهار وَيَقُومُ اللَّيْلَ؛ وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَشْكُوَهُ؛ وَهُوَ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ الله فَقَالَ لَهَا: نِعْمَ الزَّوْجُ زَوْجُكِ، فَجَعَلَتْ تُكَرِّرُ هَذَا القَوْلَ، وَيُكَرِّرُ عَلَيْهَا الجَوابَ.. فَقَالَ لَهُ كَعْبُ الأَشْرَافِ: يَا أَمِيرَ المؤْمِنِينَ هَذِهِ المرْأَةُ تَشْكُو زَوْجَهَا فِي مُبَاعَدَتِهِ إِيَّاهَا عَنْ فِرَاشِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: كَمَا فَهِمْتَ كَلامَهَا فَاقْضِ بَيْنَهُمَا.

فَقَالَ كَعْب: عَلَيَّ بِزَوْجِهَا فَأُتِيَ بِهِ، فقَالَ لَهُ: إِنَّ امْرَأَتَكَ هَذِهِ تَشْكُوكَ قَالَ: أَفِي طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ؟ قَالَ: لاَ، فَقَالَتِ المرْأَةُ:

يَا أَيُّهَا القَاضِي الحكِيمُ رُشْدُهْ ... أَلْهَى خَلِيلِى عَنْ فِرَاشٍ مَسْجِدُهُ
زهَّدَهْ فِي مَضْجَعِي تَعَبُّدُهْ ... فَاقْضِ القَضَا كَعْبٌ وَلاَ تَرْوِهِ
نَهَارُهُ وَلَيْلُهُ مَا يَرْقُدُهْ ... فَلَسْتُ فِي أَمْرِ النِّسَاءِ أَحْمَدُهْ

فَقَالَ زَوْجُهَا:

زُهْــدِي فِي النِّسَــاءِ وَفِي الحجَــلِ ... أَنِّي امْــرُؤٌ أَذْهَلَنِــي مَــا نَــزَلَ
فِي سُورَةِ النَّحْلِ وَفِي السَّبْعِ الطُّوَلِ ... وَفِي كِتَــابِ اللهِ تَخْوِيــفٌ جَلَــل

فَقَالَ كَعْب:

إِنَّ لَهَا عَلَيْكَ حَقًّا يَا رَجُل ... تُصِيبُهَا فِي أَرْبَعٍ لِمَنْ عَقَل
فَأَعْطِهَــــــــــا ذَاكَ ... وَدَعْ عَنْــــــكَ العِلَــــــل

ثُـمَّ قَـالَ: إِنَّ اللهَ قَـدْ أَحَـلَّ لَـكَ مِـنَ النِّسَـاءِ مَثْنَـى وَثُـلاَثَ وَرُبَـاعَ، فَلَـكَ ثَلاَثَـةُ أَيَّـامٍ وَلَيَـالِيهِنَّ تَعْبُـدُ فِـيهِنَّ رَبَّـكَ، فَقَـالَ عُمَـرُ: وَاللهِ مَـا أَدْرِي مَـنْ أَيِّ أَمْرَيْـكَ أَعْجَـبُ؟ أَمِـنْ فَهْمِـكَ أَمْرَهُمَـا أَمْ مِـنْ حُكْمِـكَ بَيْـنَهُمَا؟ اذْهَـبْ فَقَـدْ وَلَّيْتُـكَ قَضَـاءَ الـبَصْرَةِ وَقَـدْ ثَبَـتَ فِي السُّـنَّةِ أَنَّ جِمَـاعَ الرَّجُـلِ زَوْجَتَـهُ مِـنَ الصَّدَقَاتِ الَّتِي يُثِيبُهُ اللهُ عَلَيْهَا.

قال [1]: «... وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟! قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟! فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلال كَانَ لَهُ أَجْرًا»..

---

(١) (صحيح): أحمد ٢٠٩١٧، مسلم ١٠٠٦، أبو داود ٥١٥٠٤، ابن ماجة ٩٢٧.

١٦- وَأَخِيرًا.. أَعْظَمُ ثَمَرَةٍ دُخُولُ الجَنَّةِ وَرُؤْيَةُ وَجْهِ اللهِ تَعَالَى..

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة:٢١٢]

﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران:١٩٨]

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١]

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم:٧٢]

فَعِشْ فِي الدّنيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ؛ هَكَذَا قَالَ النَّبِيُّ(١): «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّك غريبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»، قَالَ ابنُ حَجَرٍ(٢): (أَوْ) فِي الحَدِيثِ المذْكُورِ بِمَعْنَى: بَلْ، أَيْ: عَابِر سَبِيلٍ، نَعَمْ... فَرُبَّمَا يُمَكَّنُ لِلغَرِيبِ فِي غُرْبَتِهِ، أَمَّا عَابِرُ السَّبِيلِ فَلاَ يُمَكَّنُ لَهُ، فَهُوَ يَمُرُّ عَلَيْكَ؛ إِمَّا أَنْ يُؤْذِيكَ

---

(١) (صحيح): أحمد ٤٧٥، البخاري ٦٤١٦، الترمذي ٢٣٣٣، ابن ماجة ٤١١٤

(٢) الفتح: ١١/ ٢٣٨

بِالسَّبَابِ وَاللَّعَانِ، وَإِمَّا أَنْ يُحَيِّيَكَ بِتَحِيَّةِ الإِسْلامِ، وَأَنْتَ كَذَلِكَ فِي الدُّنيَا؛ إِمَّا أَنْ تَكُونَ مُحْسِنًا؛ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مُسِيئًا، فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ- أَيُّهَا الحَبِيبُ- وَقَدِّمْ لِنَفْسِكَ الخَيْرَ فِي شَبَابِكَ؛ حَتَّى تُؤْجَرَ فِي شَيْبَتِكَ وَهِرَمِكَ، وَأَسُوقُ إِلَيْكَ بِشَارَةً؛ وَهَذِهِ البِشَارَةُ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيْكَ؛ حَتَّى أُطَمْئِنَكَ -أَيُّهَا المُوَحِّدُ-أَنَّهُ قَالَ: ﴿إلا الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين٦] وَمَعْنَى الآيَةِ: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أَيْ: غَيْرَ مَقْطُوعٍ، فَالمؤمِنُ لاَ يَهْرَمُ أَبَدًا؛ فَثَوَابُهُ مُتَجَدِّدٌ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[1]: «إذَا مَرِضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا» فَلَوْ كُنْتُ ثَرِيًّا وَكُنْتُ تُنْفِقُ مَالَكَ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ أَصَابَكَ فَقْرٌ أَوْ مَرَضٌ أَوْ أَيُّ أَزْمَةٍ لِسَبَبٍ أَوْ لآخَرَ، وَتَتُوقُ نَفْسُكَ لِلإِنْفَاقِ، وَلا تَجِدُ مَا تُنْفِقُهُ فَأَبْشِرْ، فَإِنَّ اللهَ يُعْطِيكَ نَفْسَ الثَّوَابِ وَنَفْسَ الأَجْرِ بِنَفْسِ نِيَّتِكَ، مِثْلَمَا كُنْتَ تُنْفِقُ وَأَنْتَ ثَرِيٌّ، مِثْلَمَا كُنْتَ تُنْفِقُ وَأَنْتَ ثَرِيٌّ، أَلَمْ تَقْرَأْ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ أَيْضًا[2]: «إِنَّ أَقْوَامًا بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلا وَادِيًا إلاَّ وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ» إِنَّهُمْ يُؤْجَرُونَ بِنِيَّاتِهِم وَلَهُمْ أُجُورٌ مِثْلُ أُجُورِ الَّذِينَ غَزَوْا مَعَ رَسُولِ اللهِ، فَاغْتَنِمْ شَبَابَكَ حَتَّى

(١) (صحيح): البخاري ٢٩٩٦، أبو داود ٣٠٩١.

(٢) (صحيح): البخاري ٤٤٢٣، ابن ماجة ٢٧٦٤.

تُؤْجَرَ فِي هِرَمِكَ، فَالمؤْمِنُ لاَ يَهْرَمُ أَبَدًا؛ فَثَوَابُهُ مُتَجَدِّدٌ، فَمَا بَالُكَ لَوْ كَانَ أَحَدُنَا ضَائِعًا -فِي شَبَابِهِ- فَاسِدًا؟! فَهَلْ سَتُؤْجَرْ أَمْ سَتَكُونُ مِنَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ أَوْزَارًا مَعَ أَوْزَارِهِم؟! فَانْتَبِهْ جَيِّدًا قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَبَابِكَ؛ وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ صِحَّتِكَ؛ بَلْ يُحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ حَيَاتِكَ كُلِّهَا، فَالموْتُ قَادِمٌ وَلَنْ تُفْلِتَ مِنْهُ؛ فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرُ المسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ، هَذَا هُوَ حَالُ المؤْمِنِ فِي الدّنيَا، فَأَنْتَ مُنْذُ وِلادتِكَ وَأَنْتَ عَابِرُ سَبِيلٍ؛ فِي لَحْظَةٍ مُعَيَّنَةٍ سَتَصِلُ إِلَى الله، وَرُبَّمَا تَصِلُ -الآنَ- فَجْأَةً دُونَ أَنْ يَأْتِيَكَ نَذِيرٌ، أي: يَأْتِيكَ الموْتُ بَغْتَةً، فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَمْنَعَهُ؟! فَمَا أَكْثَرَ مَوْتَ الفُجَاءَةِ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ!!

يَا رَبِّ إِنَّ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً ... فَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ[1]

أَدْعُوكَ رَبِّي كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعًا ... فَإِذَا أَرْدَدْتَ يَدِي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ؟!

إِنْ كَانَ لاَ يَرْجُوكَ إِلا مُحْسِنٌ ... فَمَنِ الَّذِي يَرْجُو المسِيءُ المُجْرِمُ؟!

مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلا الرَّجَا ... وَجَمِيلَ عَفْوِكَ ثُمَّ أَنِّي مُسْلِمُ

أَقُولُهَا ثَانِيَةً: انْتَبِهْ جَيِّدًا حتى تَفُوزَ بِجَنَّةٍ عَرْضُهَا الأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ مَعَ الرَّسُولِ الأَمِينِ وَصَحْبِهِ الكَرِيمِ. وَأُحَذِّرُكَ وَأُحَذِّرُ نَفْسِي، فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ

---

(١) أبو نواس ١٤٦ ١٩٨ هـ

أَنْ تَقْنَطَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ﷻ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ﴾ [الحجر٥٦] وَقَالَ سَيِّدُنَا يَعْقُوبُ ﵇ نَاصِحًا أَبْنَاءَهُ: ﴿وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف٨٧] فَاليَائِسُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ لَهُم عَذَابٌ شَدِيدٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [العنكبوت٢٣] فَاليَائِسُ أَوْشَكَ أَنْ يَمُوتَ كَافِرًا إِنْ لَمْ يَكُنْ مَاتَ كَذَلِكَ -نَسْأَلُ اللهَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ- حَيْثُ يُسَاقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى جَهَنَّمَ وَالعِيَاذُ بِاللهِ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر٧١] تَجِدُ قَوْلَ اللهِ فِي الآيَةِ ﴿فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ نُلاَحِظُ وُجُودَ جَوَابِ الشَّرْطِ ﴿فُتِحَتْ﴾ فِي الآيَةِ؛[1] لأَنَّهُم دَاخِلُونَ إِلَيْهَا سَرِيعًا؛ وَلاَ يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ المجْرِمُونَ، فَهُمْ دَاخِلُونَ إِلَى نَارٍ؛ لاَ تُبْقِي وَلاَ تَذَر، فَتَعَجَّلُ لَهُمُ العُقُوبَةُ بِمُجَرَّدِ وُصُولِهِم، فَحُذِفَتْ الوَاوُ تَرْهِيبًا وَتَنْفِيرًا، أَمَّا الَّذِينَ اتَّقَوا فَقَالَ اللهُ فِيهِم: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ حَيْثُ سُبِقَ الفِعْلُ ﴿وَفُتِحَتْ﴾ بِالوَاوِ؛ وَحُذِفَ جَوَابُ الشَّرْطِ مِنَ الآيَةِ، أَتَدْرِي

(١) تفسير ابن كثير سورة الزمر من عدة تفاسير مثل ابن كثير والقرطبي وغيرهما.

لِمَاذَا؟! لِلتَّشْوِيقِ، لِيَذْهَبَ الذِّهْنُ كُلَّ مَذْهَبٍ فِي الرَّجَاءِ وَالأَمَلِ، وَتَقْدِيرُهُ: سُعِدُوا وَطَابُوا وَفَرِحُوا وَاطْمَأَنُّوا إِلَى حُصُولِ نَعِيمِهِم؛ فَهُمْ يُؤَمَّنُونَ وَيَأْمَنُونَ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان٥١] وَيَرَوْنَ وَجْهَ رَبِّهِمُ العَظِيمَ و...و...، وَاقْرَأْ مَا شِئْتَ قَوْلَ رَبِّكَ: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة١٧] بَعْدَ كُلِّ هَذَا يَذْهَبُونَ إِلَى الجَنَّةِ فَيَنْعَمُونَ وَيُنَعَّمُونَ وَيَتَمَتَّعُونَ؛ فَهُمْ فِي الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ؛ لِلتَّمَتُّعِ وَالنَّعِيمِ، وَقَدْ كَانُوا فِي الدّنيَا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ؛ لِكَيْ يَعِيشُوا وَيَتَقَوَّوْا، فَيَوْمُ القِيَامَةِ أَهْلُ الجَنَّةِ فَرِيقَانِ؛ فَرِيقٌ يُسَاقُ إِلَى الجَنَّةِ، كَمَا سَبَقَ التَّوْضِيحُ فِي الآيَةِ المَذْكُورَةِ، وَآخَرُ تُسَاقُ إِلَيْهِ الجَنَّةُ، اقْرَأْ مَا شِئْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق٣١] فَالمؤمِنُ الحَقُّ -إِنْ شَاءَ اللهُ- يُسَاقُ أَوْ تُسَاقُ إِلَيْهِ الجَنَّةُ بِحَسْبِ عَطَائِهِ لله وَاسْتِقَامَتِهِ فِي الدّنيَا.

الفَتَاةُ المُسْلِمَةُ وَتَقْوَى اللَّهِ

بَعْدَ ذِكْرِ هَذِهِ الثَّمَرَاتِ الطَّيِّبَةِ؛ وَمَا أَجْمَلَهَا مِنْ ثِمَارٍ! فَفِيهَا فَلاَحُ الدُّنيَا (المعِيشَةُ الرَّغْد) وَفَوْزُ الآخِرَةِ (جَنَّات عَدْن وَرُؤْيَة وَجْهِ الله العَظِيم) فَأَعْتَقِدُ بَلْ أَجْزِمُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مَهْمَا عَظُمَ فِي الدُّنيَا فَهُوَ لاَ يُسَاوِي شَيْئًا أَمَامَ دُخُولِ الجَنَّةِ وَرُؤْيَةِ وَجْهِ رَبِّنَا فِي الآخِرَةِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟! قُلْ: بَلَى، رُبَّمَا عَنْوَنْتُ هَذَا الفَصْلَ بِهَذَا العُنْوَانِ؛ لأَهَمِيَّةِ التَّقْوَى لِبَنَاتِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، فَصَلاَحُ البُيُوتِ المسْلِمَةِ يَبْدَأُ مِنْهُنَّ، وَفَسَادُهَا أَيْضًا، فَالقَلِيلُ جِدًّا مِنْهُنَّ اليَوْمَ هُنَّ أَصْحَابُ التَّقْوَى، أَمَّا البَاقِيَاتُ فَحَدِّثْ عَنْهُنَّ وَلاَ حَرَجَ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِالله.. فَأَيْنَ أَنْتِ يَا فَتَاةَ الإِسْلاَمِ مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ الله، ذَلِكُمْ الفَرْعُ الَّذِي طَابَ أَصْلُهُ وَزَكَى غَرْسُهُ؛ فَهِيَ أُسْوَةٌ وَقُدْوَةٌ لِبَنَاتِ جِنْسِهَا..

هِيَ أُسْوَةٌ لِلأُمَّهَاتِ وَقُدْوَةٌ ... يَتَرَسَّمُ الرَّكْبُ المنِيرُ خُطَاهَا
جَعَلَتْ مِنَ الصَّبرِ الجَمِيلِ غِذَاءَهَا ... وَرَأَتْ رِضَا الزَّوْجِ الكَرِيمِ رِضَاهَا
فَمُهَا يُرَتِّلُ آيَ رَبِّكَ بَيْنَمَا ... يَدُهَا تُدِيرُ عَلَى الشَّعِيرِ رَحَاهَا
بَلَّتْ وِسَادَتَهَا لآلِئُ دَمْعِهَا ... مِنْ طُولِ خَشْيَتِهَا وَمِنْ تَقْوَاهَا
فِي رَوْضِ فَاطِمَةَ نَمَا غُصْنَانِ لَمْ ... يُنْجِبْهُمَا فِي الكَائِنَاتِ سِوَاهَا

وَاسْتَمِعِي إِلَى مَا قَالَهُ شَاعِرٌ آخَرُ فِيهَا؛ لِتَتَعَلَّمِي فِي وَقْتٍ عَزَّ فِيهِ النَّاصِحُ الأَمِينُ، وَقَلَّ فِيهِ المعَلِّمُ الصَّبُورُ، وَامْتَلأَتْ دُنْيَانَا بِأُنَاسٍ يُرِيدُونَ لِفَتَيَاتِنَا أَنْ يَسِيرْنَ عَارِيَاتٍ مَائِلاتٍ مُمِيلاَتٍ مُتَسَكِّعَاتٍ: يَا ابْنَةَ الإِسْلاَمِ...

فَلْتَحْذَرِي مِنْ دُعَاةٍ لاَ ضَمِيرَ لَهُم ... منْ كُلِّ مُسْتَغْرِبٍ فِي فِكْرِهِ خَرِبُ
فَأَيْنَ مَنْ كانتِ الزَّهْرَاءُ أُسْوَتَهَا ... مِمَّنْ تَقَفَّتْ خُطَا حَمَّالَةَ الحَطَبِ
هَلْ يستوِي مَنْ رَسُولُ الله قَائِدُهُ ... دَوْمًا وآخَرُ هَادِيهِ أَبُو لَهَبِ
أَسْمَوا دِعَارتَهُم حُرِيَّةً كَذِبًا ... شَاعُوا الخَلاعَةَ بِاسْمِ الفَنِّ والطَّرَبِ
هُمُ الذِّئَابُ وَأَنْتِ الطُّعْمُ فَاحْتَرِسِي ... مِنْ كُلِّ مُنْتَهِبٍ لِلعِرْضِ مُفْتَرِسِ
أختَاهُ لَسْتِ بِنَبْتَةٍ لاَ جُذُورَ لَهَا ... وَلَسْتِ مَقْطُوعَةً مجْهُولَةَ النَّسَبِ
أَنْتِ ابنَةُ الطُّهْرِ وَالإِسْلامِ عِشْتِ بِهِ ... فِي حُضْنِ أَطْهَرِ أُمٍّ وَأَعَزِّ أَبِ

فَهَا هُوَ الإِعْلامُ مَلأَ عَلَيْنَا دُنيَانَا بِالمُسَلْسَلاتِ وَالأَفْلامِ فِي كُلِّ الفَضَائِيَّاتِ..فَاهْجُرِي الأَفْلامَ والمسلسلات، وَدَاوِمِي عَلَى قِرَاءةِ القُرآنِ، وَاعْلَمِي أَنَّ الأَفْلامَ مَضْيَعَةٌ لِلوَقْتِ..مَفْسدةٌ لِلصَّلاةِ وَالصِّيامِ وَالعِبَادَةِ بِشَكْلٍ عَام..مَغْضبةٌ لِرَبِّ الأَنَامِ.. وَأَنْتِ مَسْئولَةٌ عَنْ هَذَا الضّيَاعِ..أَلَمْ تَقْرَأي فِي القُرْآنِ ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ (الإسراء: ٣٦).؟!.

فيَا صَاحِبَةَ السَّيِّئاتِ..أَقْصِري..وَاعْلَمْي أَنَّكِ غَدًا سَتُعْرَضِينَ بيْنَ يَدَي رَبِّ الأَنَامِ..فَهَلْ أقبلْتِ عَلَى الحَسَناتِ، وَتَرَكْتِ السَّيئَاتِ؟! أَلَمْ تَقْرَأي فِي القُرْآنِ ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ (هود:١١٤)؟! وعُودِي إِلَى الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ..وَجَدِّدِي الإِنَابَةَ وَالتَّوْبَةَ..فَإِنَّ الفَلاحَ فِي العَوْدَةِ إِلَى التَّوْبَةِ..أَلَمْ تَقْرَأْ فِي القُرْآنِ ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور:٣١)؟!

فيَا مَنْ أَطْغَاكَ مَالُكِ وسُلْطَانُكِ..عُودِي إِلَى الوَاحِدِ الديَّانِ، وَاتَّقِ اللهَ فِي نَفْسِكِ وَفِيمَنْ حَوْلَكِ؛ وَابْتَعِدي عَنْ ظُلمِكِ.. فَإِنّ اللهَ طيِّبٌ..لنْ يَقْبَلَ مِنْكِ إلاَّ عَمَلاً طَيبًا.. فَأَكْثِري مِنَ الاسْتِغْفارِ؛ لَعَلَّكِ تَلْحَقِينَ بِالأبْرَارِ..قَبْلَ فَوَاتِ الأوَانِ..أَلَمْ تَقْرَأي فِي القُرْآنِ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران:١٣٥)؟! فَلاَ تَكُونِي أُخْتًا لِلشَّيْطَانِ..لاَ يَلِيقُ بِكِ. عُودِي إِلَى تَعَالِيمِ الرَّحْمَنِ. وَالْزَمِي الحِجَابَ؛ فَعِنْدَمَا يَأْتِي الشَّهْرُ الفَضِيلُ (رَمَضَانُ) أَرَاكِ-وَالحَمْدُ لله-مُحَجَّبةً.. فَهَلْ يَا تَرَى سَتَسْتَمِرِّينَ فِي الطَّاعَةِ أَمْ تعُودِينَ إِلَى العِصْيَان وَطَاعَةِ الشَّيْطَانِ؟ لاَ تعبُدِي الشَّيطَانَ، وَأَطِيعِي رَبَّ الأَنَامِ، اجْعَلِي حَيَاتَكِ كُلَّهَا لله، قَالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (الحجر:٩٩) فَمَا شُرِّعَتِ العِبَادَاتُ إلاَّ لِذِكْرِ اللهِ؛ وَتَحْقِيقِ

مَصْلَحَةِ الإِنْسَانِ وَتَزْكِيَتِهِ وَتَطْهِيرِهِ وَإِبْعَادِهِ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَإِدْخَالِ تَقْوَى اللهِ فِي قَلْبِهِ..

وَيَحْضُرُنِي فِي هَذَا المَقَامِ تِلْكُمُ المَرْأَةُ العَظِيمَة، وَهِيَ امْرَأَةٌ مِنْ فُضْلَيَاتِ النِّسَاءِ المؤْمِنَاتِ صَبْرًا وَطَاعَةً لله؛ وإن شئت فقل: إِنَّهَا امْرَأَةٌ مِنَ الجَنَّةِ؛ ففى حديث عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ ﷺ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ(١): أَلا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ وَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ،فَادْعُ اللهَ لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ، قَالَتْ: (رَضِيَ اللهُ عَنْهَا) أَصْبِرُ، قَالَتْ: فَإِنِّي أَتَكَشَّفُ،فَادْعُ اللهَ أَنْ لا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا،وَكَانَتْ إِحْدَى مُعْجِزَاتِ النَّبِيِّ أَنَّهُ رَجُلٌ مُبَارَكٌ مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ إِذَا دَعَا رَبَّهُ ﷻ اسْتَجَابَ لَهُ فَوْرَ دُعَائِهِ كَمَا عَدَّ ذَلِكَ ابنُ تَيْمِيَةَ (٢) فِي مُعْجِزَاتِ النَّبِيِّ ﷺ ...سُبْحَانَ الله! تَصْبِرُ عَلَى المَرَضِ وَلا تَصْبِرُ عَلَى التَّكَشُّفِ، يَا مَنْ تَتَكَشَّفِينَ بِلاَ صَرَعٍ، أَلاَ تَخَافِينَ أَنْ تَتَكَشَّفِي وَأَنْتِ مَرِيضَةٌ بِالصَّرَعِ؟! فَاللهُ قَادِرٌ؛ وَلاَ يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ؛ وَلَكِنَّهُ يُمْهِلُ وَلاَ يُهْمِلُ.. أَيَّتُهَا المُسْلِمَاتُ اسْتُرْنَ أَنْفُسَكُنَّ يَسْتُرْكُنَّ اللهُ، آهٍ..آهٍ لَوْ رَأَتْ هَذِهِ المَرْأَةُ فَتَيَاتِ المُسْلِمِينَ،

---

(١) (صحيح): البخارى ٥٦٥٢، مسلم ٢٥٧٦، أحمد ٣٢٣٠.

(٢) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-ما يَرْبُو عَلَى ألفِ معجزة لرسول الله ﷺ.

وَهُنَّ فِي سُفُورِهِنَّ وَتَبَرُّجِهِنَّ المشِيْنِ، وَهُنَّ يَعْلَمْنَ أَنَّ سِمَاتِ الثَّوْبِ الإِسْلامِيِّ أَلا يَصِف وَأَلا يَكْشِف وَأَلا يَشِفّ، فَيَا مَنْ تَتَكَشَّفِينَ اتَّقِي اللهَ قَبْلَ لِقَاءِ الله، لَقَدْ وَصَفَ اللهُ نِسَاءَ الجَنَّةِ بِأَنَّهُنَّ حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الخِيَامِ فَقَالَ اللهُ: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن٧٢] وَوَصَفَهُنَّ أَيْضًا: بِأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ، أي: مَخْفِيٌّ، فَقَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ [الصافات٤٩] فَكُونِي كَالجَوْهَرَةِ المَصُونَةِ المَكْنُونَةِ، وَلاَ تُظْهِرِي مِنْ جِسْمِكِ شَيْئًا لِلذِّئَابِ؛ فَتَقَعِي فَرِيسَةً سَائِغَةً لَهُم، وَاعْلَمِي -عِلْمَ اليَقِينِ- أَنَّهُ لاَ يَسْتَوِي المُتَبَرِّجَاتُ السَّافِرَاتُ مَعَ الشَّرِيفَاتِ الطَّاهِرَاتِ، شَتَّانَ شَتَّانَ بَيْنَهُمَا، لاَ... لاَ يَسْتَوِيَانِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم٣٥] وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لا يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة١٨] فَانْظُرِي إِلَى أَيِّ فَرِيقٍ تُحِبِّينَ أَنْ تَنْتَمِي إِلَيْهِ!

يَا ابْنَتِي إِنْ أَرَدْتِ آيَةَ حُسْنٍ ... وَجَمَالاً يَزِينُ جِسْمًا وَعَقْلاً(١)
فَانْبُذِي عَادَةَ التَّبَرُّجِ نَبْذًا ... فَجَمَالُ النُّفُوسِ أَسْمَى وَأَغْلَى
يَصْنَعُ الصَّانِعُونَ وَرْدًا وَلَكِنْ ... وَرْدَةُ الرَّوْضِ لاَ تُضَارَعُ شَكْلاً

فَيَا أَيَّتُهَا المُسْلِمَةُ اتَّخِذِي مِنْ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ) مَثَلاً أَعْلَى لَكِ؛

---

(١) علي الجارم: ١٢٩٩ - ١٣٦٨هـ.

حَتَّى تَلْحَقِي بِهِنَّ فِي الجَنَّةِ؛ لأَنَّ نِسَاءَ الجَنَّةِ عَفِيْفَاتٌ، أَتُرِيدِينَ أَنْ تَدْخُلِي- وَأَنْتِ فِي قِمَّةِ تَبَرُّجِكِ الجَاهِلِيِّ-إِلَى الجَنَّاتِ مَعَ العَفِيفَاتِ؟!

التَّقْوَى قُوَّةٌ فِي الدّنيَا وَنَجَاةٌ فِي الآخِرَةِ

إنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ الكَوْنَ كُلَّهُ لَكَ -أَيُّهَا الإِنْسَانُ- فَكُلُّ شَيْءٍ فِي الكَوْنِ مُسَخَّرٌ وَمَخْلُوقٌ لِخِدْمَتِكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة٢٩]

وقال الله تعالى: ﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم٣٢-٣٣-٣٤].

أَمَّا أَنْتَ -أَيُّهَا الإِنْسَانُ- فَلِمَنْ خُلِقْتَ؟! خُلِقْتَ؛ لعبادة لله الوَاحِدِ الأَحَد..

تَـزَوَّدْ مِـنَ التَّقْـوَى فَإِنَّـكَ لاَ تَـدْرِي ... إِذَا جَنَّ لَيْـلٌ هَـلْ تَعِيـشُ إِلَى الفَجْـرِ(1)
فَكَمْ مِنْ فَتَى أَمْسَى وَأَصْبَحَ ضَـاحِكًا ... وَقَدْ نُسِـجَتْ أَكْفَانُـهُ وَهُـوَ لاَ يَـدْرِي
وَكَمْ مِنْ صِغَارٍ يُرْتَجَى طُـولُ عُمْـرِهِم ... وَقَدْ أُدْخِلَتْ أَجْسَـادُهُم ظُلْمَـةَ القَـبْرِ
وَكَـمْ مِـنْ عَـرُوسٍ زَيَّنُوهَـا لِزَوْجِهَـا ... وَقَـدْ قُبِضَـتْ أَرْوَاحُهُـم لَيْلَـةَ القَـدْرِ
وَكَمْ مِنْ صَحِيحٍ مَاتَ مِـنْ غَـيْرِ عِلَّـةٍ ... وَكَمْ مِنْ سَقِيمٍ عَاشَ حِينًا مِـنَ الـدَّهْرِ

---

(١) علي بن أبي طالب: ٢٣ق.هـ-٤٠هـ.

يَقُولُ ابنُ القَيِّمِ: إِنَّ اللهَ أَنْزَلَ الكُتُبَ السَّماوِيَّةَ، وَجَمَعَ الكُتُبَ السَّماوِيَّةَ كُلَّهَا فِي كِتَابٍ وَاحِدٍ وَهُوَ القُرْآنُ، وَجَمَعَ القُرْآنَ فِي سُورَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ الفَاتِحَةُ، وَجَمَعَ الفَاتِحَةَ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة:٥) نَعَمْ.. أَنْتَ مَخْلُوقٌ؛ لِلعِبَادَةِ، وَغَايَةُ العِبَادَةِ التَّقْوَى... وَهَذَا هُوَ الهَدَفُ الأَسْمَى وَالعَظِيمُ مِنْ خَلْقِ الإِنْسَانِ، وَالغَايَةُ مِنَ التَّقْوَى دُخُولُ الجَنَّةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ (مريم:٦٣) وَخَيْرُ مَنْ يُعِينُكَ عَلَى التَّقْوَى إِخْوَانُكَ المُصَلُّونَ الصَّالِحُونَ؛ فَاتَّخِذْهُمْ أَوْلِيَاءَ، فَاللهُ هُوَ الَّذِي اخْتَارَهُم لَكَ أَوْلِيَاءَ، أَمَّا غَيْرُهُمْ فَخُذْ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى النَّجَاةِ، فَإِنْ أَبَوْا فَتَجَنَّبْهُم؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (المائدة:٥٥).

وَاعْتَبِرْ بِمَنْ قَبْلَكَ وَبِمَنْ حَوْلَكَ؛ فَفِيهِمُ العِبَرُ.. فَكَمْ مِنْ عَزِيزٍ رَأَيْنَاهُ أَذَلَّهُ اللهُ! وَكَمْ مِنْ فَقِيرٍ عَاصَرْنَاهُ أَغْنَاهُ اللهُ! وَكَمْ مِنْ ضَعِيفٍ رَأَيْنَاهُ قَوَّاهُ اللهُ، وَكَمْ مِنْ مَرِيضٍ عُدْنَاهُ وَأَشْفَقْنَا عَلَيْهِ شَفَاهُ اللهُ؟! وَعَكْسُ ذَلِكَ كَثِيرٌ فِي دُنْيَا الأَعَاجِيبِ وَالمُتَنَاقِضَاتِ؛ فَلِمَاذَا لاَ نَعْتَبِرُ؟!! وَصَدَقَ اللهُ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ (القمر:١٥-١٦) ؟! فَآثَارُ مَنْ كَانُوا قَبْلَنَا عِبْرَةٌ لَنَا، فَاقْتَدِ

بِالمؤْمِنِينَ مِنْهُمْ، وَاقْتَفِ طَرِيقَ صَالِحِيهِمْ؛ فَشَرْعُ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا شَرْعٌ لَنَا؛ مَا لَمْ يَأْتِ فِي شَرْعِنَا نَاسِخٌ يَنْسَخُهُ.

وَالتَّقْوَى فِي الدّنيَا تُعْطِيكَ القُوَّةَ فِي مُوَاجَهَةِ البَاطِشِينَ؛ لأَنَّ اللهَ ﷻ هُوَ الأَحَقُّ بِالخَشْيَةِ، فَهَا هُوَ ابنُ أَبِي هُبَيْرَةَ كَانَ يَعْمَلُ عِنْدَ يَزِيدَ بن عَبْدِ الملِكِ وَزِيرًا عِنْدَ أَحَدِ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ، وَكَانَ يُنَفِّذُ أَوَامِرَ الخَلِيفَةِ؛ فَكَتَبَ الخَلِيفَةُ كِتَابًا لَيْسَ فِيهِ مَا يُوَافِقُ شَرْعَ الله فَإِنْ لَمْ أُنَفِّذْهُ خَشِيتُ عَلَى دَمِي فَأَخَذَ الكِتَابَ وَذَهَبَ إِلَى الحَسَنِ البَصْرِيِّ وَقَصَّ عَلَيْهِ الخَبَرَ، فَاعْتَدَلَ إِمَامُ البَصْرَةِ الشَّهِيرُ فِي جِلْسَتِهِ؛ وَقَالَ لَهُ كَلامًا أَغْلَى مِنَ الذَّهَبِ، وَكَانَ كَلامُهُ ؓ يُشْبِهُ كَلامَ الأَنْبِيَاءِ كَمَا قَالَ العُلَمَاءُ فِيهِ:

- يَا ابْنَ أَبِي هُبَيْرَةَ خَفِ اللهَ فِي يَزِيدَ؛ وَلاَ تَخَفْ يَزِيدَ فِي الله.

- يَا ابْنَ أَبِي هُبَيْرَةَ إِنَّ اللهَ مَانِعُكَ مِنْ يَزِيدَ؛ وَلَنْ يَمْنَعَكَ يَزِيدُ مِنَ الله.

- يَا ابْنَ أَبِي هُبَيْرَةَ لاَ طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخَالِقِ، فَالمخْلُوقُ هُوَ يَزِيدُ، وَالخَالِقُ هُوَ اللهُ.

- يَا ابْنَ أَبِي هُبَيْرَةَ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ يَزِيدَ يُوَافِقُ شَرْعَ الله فَأَنْفِذْهُ؛ وَمَا جَاءَ فِي كِتَابِ يَزِيدَ لاَ يُوَافِقُ شَرْعَ الله فَلاَ تُنْفِذْهُ..

ضَرَبَ ابْنُ أَبِي هُبَيْرَةَ عَلَى كَتِفِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ ثُمَّ قَبَّلَهُ وَقَالَ لَهُ: لَقَدْ صَدَقْتَنِي وَرَبِّ الكَعْبَةِ، فَاتَّبِعْ طَرِيقَ المتَّقِينَ السَّالِكِينَ المهْتَدِينَ بِهَدْيِ النَّبِيِّ الأَمِينِ وَمَنْهَجِ اللهِ العَلِيمِ وَاحْذَرْ مُخَالَفَةَ نَبِيِّنَا الكَرِيمَ وَسِرْ عَلَى دَرْبِ المؤْمِنِينَ، فَمَنْ يُخَالِفْ رَسُولَ اللهِ فَالنَّارُ مَثْوَاهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]

وبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا...

قَالَ اللهُ تَعَالَى مُبَشِّرًا الَّذِينَ آمَنُوا وَمُخَاطِبًا نَبِيَّهُ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ [البقرة ٢٥]

أَنْ تَكُونَ مِنَ المؤْمِنِينَ، فَهَذَا فَضْلٌ عَظِيمٌ مِنَ اللهِ عَلَيْكَ، فَأَنْتَ حَبِيبُ اللهِ، فَهَنِيئًا لَكَ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ﴾ [البقرة ١٦٥]؛ لِذَلِكَ هَدَاكَ وَدَافَعَ عَنْكَ اللهُ ﷻ وَجَعَلَ نَفْسَهُ وَلِيًّا لَكَ، وَنَصَرَكَ وَجَعَلَ العِزَّةَ لَكَ بَعْدَ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَجَعَلَكَ فِي مَعِيَّتِهِ، وَجَعَلَ حَمَلَةَ عَرْشِهِ العَظِيمِ يَسْتَغْفِرُونَ لَكَ.

١-هَدَاكَ اللهُ ﷻ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج ٥٤]

٢-وَدَافَعَ عَنْكَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج ٣٨]

٣-وَجَعَلَ نفسَهُ وليًّا لَكَ، فَقَالَ ﷻ: ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ﴾ [البقرة٢٥٧].

٤-ونصَرَكَ فَقَالَ ﷻ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم٤٧].

٥-وَجَعَلَ العِزَّةَ لَكَ بَعْدَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ فقالَ: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون ٨]

٦-وَجَعَلَكَ فِي مَعِيَّتِهِ، فَقَالَ ﷻ: ﴿وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال ١٩]

٧-وَجَعَلَ حَمَلَةَ عَرْشِهِ العَظِيمِ يَسْتَغْفِرُونَ لَكَ فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر ٧]

٨-وَجَعلَ لَكَ الحَيَاةَ الطَّيبةَ، فَقَالَ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل ٩٧]

٩-وَجَعَلَ لَكَ وُدّهُ-جَلَّ شَأْنُهُ-فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم ٩٦]

١٠-وَأَدْخَلَهُم اللهُ الجنَّةَ بفَضلِهِ وَرَحْمَتِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج ١٤].

١١-وَثَبَّتَهُم بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم ٢٧]

١٢-وَنَفَى سُلْطَانَ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِم وَإِغْوَاءَهُ لَهُمْ، فَقَالَ: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل ٩٩]

١٣-وَوَعَدَهُمْ بِالمَغْفِرَةِ وَالرِّزْقِ الكَرِيمِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الحج ٥٠]

١٤-ووعَدَهُمْ بالتَّمْكِينِ وَالنَّصْرِ المُبِينِ فِي دُنْيَاهُم وَأُخْرَاهُم فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا

لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر٥١]

فَكُلُّ هَذِهِ المِنَحِ الرَّبَّانِيَّةِ لَكَ، فَهَلاَّ شَكَرْتَ الله تَعَالَى؟!.. بَلْ مِنْ نِعَمِ الله عَلَيْكَ حَتَّى أُطَمْئِنَكَ -أَيُّهَا المُوَحِّدُ- أَنَّهُ قَالَ: ﴿إلا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [التين٦] وَمَعْنَى الآيَةِ: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أَيْ: غَيْرَ مَقْطُوعٍ، فَفِي الحَدِيثِ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ(١): «إذا مَرِضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا» فَلَوْ كُنْتُ ثَرِيًّا وَكُنْتُ تُنْفِقُ مَالَكَ فِي سَبِيلِ الله ثُمَّ أَصَابَكَ فَقْرٌ لِسَبَبٍ أَوْ لآخَرَ، وَتَتُوقُ نَفْسَكَ للإنْفَاقِ، وَلا تَجِدُ مَا تُنْفِقُهُ فَأَبْشِرْ، فَإِنَّ اللهَ يُعْطِيكَ نَفْسَ الثَّوَابِ وَالأَجْرِ بِنَفْسِ نِيَّتِكَ، مِثْلَمَا كُنْتَ تُنْفِقُ وَأَنْتَ ثَرِيٌّ، وَقَالَ رَسُولُ الله فِي شَأْنِ رَجُلٍ فَقِيرٍ يَتَمَنَّى أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ فَيَعْمَلَ بِعَمَلِ رَجُلٍ ثَرِيٍّ فَيُنْفِقَهُ فِي الخَيْرِ(٢) "فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَهُمَا فِي الأَجْرِ سَوَاء" وَمَنْ كَانَ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ صَلاةِ لَيْلٍ أَوْ صَدَقَةٍ وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَفْعَلَهَا إلا فِي أَرْضِ الإِقَامَةِ كَتَبَ اللهُ لَهُ أَجْرَهُ كَامِلاً، وَكَذَا أَيِّ عَمَلٍ صَالِحٍ آخَرَ فَهَذِهِ مُعَامَلَةٌ بِالفَضْلِ لا بِالعَدْلِ، فَلَوْ كَانَ عَدْلاً مَا كُتِبَ لَكَ ذَلِكَ؛ وَلَكِنَّهَا رَحْمَةُ الله بِالمُؤْمِنِينَ، وَكَذَا فِي حَالِ عَجْزِكَ لَوْ مَنَعَكَ

---

(١) (صحيح): البخاري ٢٩٩٦، أبو داود ٣٠٩١.

(٢) (صحيح): البخاري ١٤٢٢.

مَرَضِكَ مِنْ فِعْلِ عَمَلٍ صَالِحٍ كُنْتَ تَفْعَلُهُ فِي حَالِ صِحَّتِكَ يُكْتَبُ لَكَ فِي حَالِ مَرَضِكَ. أَلَمْ تَقْرَأْ قَوْلَ رَسُولِ الله(١): «إنّ أقوامًا بالمدينة خلفنا ما سلكنا شعبًا ولا واديًا إلاّ وهُمْ معنا فيه حبسهُمُ العُذرُ» إِنَّهُمْ يُؤْجَرُونَ بِنِيَّاتِهِم وَلَهُمْ أُجُورٌ مِثْلُ أُجُورِ الَّذِينَ غَزَوْا مَعَ رَسُولِ الله، فَاغْتَنِمْ شَبَابَكَ حَتَّى تُؤْجَرَ فِي هِرَمِكَ، فَالمؤْمِنُ لاَ يَهْرَمُ أَبَدًا؛ فَثَوَابُهُ مُتَجَدِّدٌ، فَمَا بَالُكَ لَوْ كَانَ أَحَدُنَا ضَائِعًا -فِي شَبَابِهِ- فَاسِدًا؟! فَهَلْ سَتُؤْجَرُ أَمْ سَتَكُونُ مِنَ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ أَوْزَارًا مَعَ أَوْزَارِهِم؟! فَانْتَبِهْ جَيِّدًا قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَبَابِكَ؛ وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ صِحَّتِكَ؛ بَلْ يُحَالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ حَيَاتِكَ كُلِّهَا، فَالموْتُ قَادِمٌ وَلَنْ تُفْلِتَ مِنْهُ؛ فَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرُ المسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرُ الصَّبَاحَ، هَذَا هُوَ حَالُ المؤْمِنِ فِي الدُّنيَا، فَأَنْتَ مُنْذُ وِلادِتِكَ وَأَنْتَ عَابِرُ سَبِيلٍ؛ فِي لَحْظَةٍ مُعَيَّنَةٍ سَتَصِلُ إِلَى الله، وَرُبَّمَا تَصِلُ -الآنَ- فَجْأَةً دُونَ أَنْ يَأْتِيَكَ نَذِيرٌ، أي: يَأْتِيكَ الموْتُ بَغْتَةً، فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَمْنَعَهُ؟! فَمَا أَكْثَرَ مَوْتَ الفُجَاءَةِ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ!!. فَاجْتَهِدْ أَنْ تَكُونَ نِيَّتُكَ الطيِّبَةُ مُوَافِقَةً لِعَمَلِكَ الصَّالِحِ فِي حَيَاتِكَ وَعِنْدَ مَوْتِكَ، فَاللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ يُجَازِي الإِنْسَانَ عَلَى مَا فِي صُدُورِهِم، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق٩] وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي

---

(١) (صحيح) البخاري ٤٤٢٣، ابن ماجة ٢٧٦٤

الصُّدُورِ ﴾[العاديات١٠] مَا فِي الصُّدُورِ: للذِي لاَ يَعْلَمُهُ النَّاسُ وَلَكِنَّهُ عَلِمَهُ الصَّبُورُ سُبْحَانَهُ، فَالنَّاسُ فِي الدنيَا بِظَوَاهِرِ أَحْوَالِهِم، فَإِنْ صَلحَ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ فَأَبْشِرْ، وَإِنْ خَالَفَتْ وَصَارَ القَلْبُ مُنْطَوِيًا عَلَى نِيَّةٍ فَاسِدَةٍ فَمَا أَعْظَمَ خَسَارَةَ الإِنْسَانِ يَوْمَئِذٍ.

وَكَذَلِكَ المسَافِرُ فَهُوَ صَاحِبُ رُخَصٍ، وَالرُّخْصَةُ هِيَ التَّيْسِيرُ، وَهِيَ خِلاَفُ التَّشْدِيدُ، وَالغَرَضُ مِنْهَا التَّسْهِيلُ عَلَى المكَلَّفِينَ، وَالمكَلَّفُ يَعْدِلُ عَنِ العَزِيمَةِ إِلَى الرُّخْصَةِ عِنْدَ وُجُودِ عُذْرٍ شَرْعِيٍّ يَقْتَضِي التَّخْفِيفَ، وَيَحْصُلُ عَلَى أَجْرِهِ كَامِلاً مِثْلَ المقِيمِ، فَاللهُ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ كَمَا تُؤْتَى عَزَائِمُهُ، وَالعَزِيمَةُ: الصَّبْرُ وَالجِدُّ وَالقَصْدُ المؤَكَّدُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾[طه١١٥] وَسُمِّيَ الرُّسُلُ أُولِي العَزْمِ؛ لِصَبْرِهِم وَمُثَابَرَتِهِم وَجِدِّهِم فِي سَبِيلِ دَعْوَتِهِم، وَالعَزِيمَةُ أَصْلٌ؛ فَالإِنْسَانُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَبْذُلَ كُلَّ حَيَاتِهِ لله، لَكِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ تَفَضَّلَ وَرَخَّصَ لِلبَشَرِ -بِرَحْمَتِهِ وَكَرَمِهِ- كَثِيرًا مِنْ حُظُوظِهِم لِقَضَاءِ أَوْطَارِهِم، فَأَنْتَ تُؤْجَرُ بِنِيَّتِكَ وَهَذَا الأَجْرُ رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ بِكَ، فَادْعُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَمُنَّ عَلَيْكَ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ: ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾[آل عمران٨].

وَقَالَ الفَخْرُ الرَّازِيُّ(١): ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ اعْلَمْ أَنَّ تَطَهُّرَ القَلْبِ عَمَّا لاَ يَنْبَغِي مُقَدَّمٌ عَلَى تَنْوِيرِهِ بِمَا يَنْبَغِي، فَهَؤُلاَءِ المؤْمِنُونَ سَأَلُوا رَبَّهُم أَوَّلاً أَنْ لاَ يَجْعَلَ قُلُوبَهُم مَائِلَةً إِلَى البَاطِلِ وَالعَقَائِدِ الفَاسِدَةِ، ثُمَّ إِنَّهُم اتَّبَعُوا ذَلِكَ بِأَنْ طَلَبُوا مِنْ رَبِّهِم أَنْ يُنَوِّرَ قُلُوبَهُم وَجَوَارِحَهُم وَأَعْضَاءَهُم بِزِينَةِ الطَّاعَةِ بِأَنْوَارِ المعْرِفَةِ.

وَإِنَّمَا قَالَ (رَحْمَة) لِيَكُونَ ذَلِكَ شَامِلاً لِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الرَّحْمَةِ:

فَأَوَّلُهَا: أَنْ يَحْصُلَ فِي القَلْبِ نُورُ الإِيمَانِ وَالتَّوْحِيدِ وَالمعْرِفَةِ، وَثَانِيهَا: أَنْ يَحْصُلَ فِي الجَوَارِحِ وَالأَعْضَاءِ نُورُ الطَّاعَةِ وَالعُبُودِيَّةِ وَالخِدْمَةِ، وَثَالِثُهَا: أَنْ يَحْصُلَ فِي الدُّنْيَا سُهُولَةُ أَسْبَابِ المعِيشَةِ مِنَ الأَمْنِ وَالصِّحَّةِ وَالكِفَايَةِ، وَرَابِعُهَا: أَنْ يَحْصُلَ عِنْدَ الموْتِ سُهُولَةُ سَكَرَاتِ الموْتِ، وَخَامِسُهَا: أَنْ يَحْصُلَ فِي القَبْرِ سُهُولَةُ السُّؤَالِ وَسُهُولَةُ ظُلْمَةِ القَبْرِ، وَسَادِسُهَا: أَنْ يَحْصُلَ فِي القِيَامَةِ سُهُولَةُ العِقَابِ وَالخِطَابِ وَغُفْرَانُ السَّيِّئَاتِ وَتَرْجِيحُ الحَسَنَاتِ.

وَقَوْلُهُ: (مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً) يَتَنَاوَلُ جَمِيعَ هَذِهِ الأَقْسَامِ، وَلَمَّا ثَبَتَ بِالبَرَاهِينِ البَاهِرَةِ أَنَّهُ لاَ رَحِيمَ إِلا هُوَ، وَلاَ كَرِيمَ إِلا هُوَ.

(مِنْ لَدُنْكَ) تَنْبِيهًا لِلعَقْلِ وَالقَلْبِ وَالرُّوحِ عَلَى أَنَّ المقْصُودَ لاَ يَحْصُلُ إِلاَّ مِنْهُ ﷻ وَلَمَّا كَانَ هَذَا المطْلُوبُ فِي غَايَةِ العَظَمَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى العَبْدِ لاَ جَرَمَ ذِكْرُهَا عَلَى سَبِيلِ

---

(١) التفسير ٧/ ٥٦

التَّفْكِيرِ كَأَنَّهُ يَقُولُ: أَطْلُبُ رَحْمَةً، وَأَيَّةَ رَحْمَةٍ، أَطْلُبُ رَحْمَةً مِنْ لَدُنْكَ وَتَلِيقُ بِكَ، وَذَلِكَ يُوجِبُ غَايَةَ العَظَمَةِ.. ثُمَّ قَالَ: (إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ) فَأَنْتَ الوَهَّابُ؛ الَّذِي مِنْ هِبَتِكَ حَصَلَتْ حَقَائِقُ الأَشْيَاءِ وَذَوَاتُهَا وَمَاهِيَّاتُهَا وَوُجُودُهَا، فَمِنْ جُودِكَ وَإِحْسَانِكَ وَكَرَمِكَ يَا دَائِمَ المعْرُوفِ يَا قَدِيمَ الإِحْسَانِ لاَ تُخَيِّبْ رَجَاءَ هَذَا المسْكِينِ، وَلاَ تَرُدَّ دُعَاءَهُ، وَاجْعَلْهُ بِفَضْلِكَ أَهْلاً لِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَأَكْرَمَ الأَكْرَمِينَ".

فَلَوْ جُمِعَتْ رَحْمَةُ الخَلْقِ كُلِّهِم بَلْ رَحَمَاتُ الخَلائِقِ كُلِّهَا لَكَانَتْ رَحْمَةُ الله أَشَدَّ وَأَعْظَمَ وَأَوْسَعَ، فَهُوَ أَرْحَمُ مَا يَكُونُ بِالخَلْقِ، أَعْظَمُ مِنْ رَحْمَةِ الأُمِّ بِوَلَدِهَا. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف٦٤] خَيْرٌ حَافِظًا..قِيلَ: إِنَّهَا حَالٌ مِنْ فَاعِلِ خَيْر، أَيْ: فَاللهُ خَيْرٌ، أَيْ: حَالُ كَوْنِهِ حَافِظًا. قَالَ العُلَمَاءُ: إِنَّهَا تَمْيِيزٌ كَقَوْلِ العَرَبِ: لله دَرُّكَ فَارِسًا، فَالرَّحْمَةُ -أَيُّهَا الحَبِيبُ- خُلُقٌ رَفِيعٌ، يُثْمِرُ رِقَّةً فِي الطَّبْعِ، وَيُعَلِّمُ الإِنْسَانَ عَاطِفَةَ البِرِّ وَالإِحْسَانَ وَالخَيْرَ، فَأَقْبِلْ عَلَيْهِ وَلاَ تُعَذِّبْ خَلْقَ الله، وَلاَ تَظْلِمْ..وَأَبْشِرْ بِرَحْمَةِ رَبِّكَ..

فَاللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ تَرْحَمُهُم وَلاَ تُعَذِّبْهُم، فَادْعُ اللهَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَرْحَمُهُم: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [آل عمران٧٤] وَأَكْثِرْ مِنَ العِبَادَاتِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، فَرَحْمَةُ الله كَتَبَهَا لِهَؤُلاَءِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف١٥٦]

وَقُلِ الحَمْدُ لله أَنَّ اللهَ لَمْ يُهْلِكْنَا فِي حَيَاةِ نَبِيِّنَا؛ فَاللهُ أَهْلَكَ الأُمَمَ السَّابِقَةَ فِي حَيَاةِ أَنْبِيَائِهَا فَأَقَرَّ عُيُونَهُم بِتَعْذِيبِ أُمَمِهِم؛ لِتَكْذِيبِهِم أَنْبِيَاءَهُم، قَالَ رَسُولُ الله(١): «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ رَحْمَةَ أُمَّةٍ مِنْ عِبَادِهِ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا، فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ عَذَّبَهَا وَنَبِيُّهَا حَيٌّ فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ، فَأَقَرَّ عَيْنَهُ بِهَلَكَتِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ، وَعَصَوْا أَمْرَهُ». وَفِي حَدِيثِ البُخَارِيِّ فَلَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام٦٥]. قَالَ رَسُولُ الله(٢): هَاتَانِ أَهْوَنُ..

عَنْ خَبَّابِ بنِ الأَرَتِّ -وَكَانَ قَدْ أَسْلَمَ وَشَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ الله- أَنَّهُ رَاقَبَ رَسُولَ الله اللَّيْلَةَ حَتَّى كَانَ مَعَ الفَجْرِ، فَلَمَّا سَلَّمَ رَسُولُ الله مِنْ صَلَاتِهِ، جَاءَهُ خَبَّابٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي! لَقَدْ صَلَّيْتَ اللَّيْلَةَ صَلَاةً، مَا رَأَيْتُكَ صَلَّيْتَ مِثْلَهَا؟! قَالَ رَسُولُ الله(٣): «أَجَلْ إِنَّهَا صَلَاةُ رَغَبٍ وَرَهَبٍ، سَأَلْتُ اللهَ فِيهَا ثَلَاثَ خِصَالٍ: فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ، وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَلَّا يُهْلِكَنَا بِمَا أَهْلَكَ بِهِ الأُمَمَ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُ رَبِّي: أَلَّا يُظْهِرَ عَلَيْنَا عَدُوًّا مِنْ غَيْرِنَا فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُ رَبِّي: أَلَّا يَلْبِسَنَا شِيَعًا فَمَنَعَنِيهَا».

---

(١) (صحيح): انفرد به مسلم ٢٢٨٨.

(٢) (صحيح): البخاري ٤٦٢٨، الترمذي ٣٠٦٥، أحمد ١٣٩٠٤

(٣) (صحيح): الترمذي ٢١٧٥، النسائي ١٦٣٨، وصححه الألباني ٣/ ٢١٧

وأخيرًا..التقوى التقوى....أيها الحبيب

عَلَيْكَ أَيُّهَا الحَبِيبُ بِالتَّقْوَى وَالوَرَعِ؛ فَالوَرَعُ وَالإِيمَانُ يَحْمِيَانِ صَاحِبَهُمَا وَقْتَ الشِّدَّةِ؛ فَلاَ جَزَعَ فِيهَا عِنْدَ البَلاءِ، وَلاَ بَطَرَ فِيهَا عِنْدَ النَّعْمَاءِ؛ وَمَا نَبِيُّ الله إِبْرَاهِيمُ عَنَّا بِبَعِيدٍ الَّذِي جَعَلَ حَيَاتَهُ كُلَّهَا لله؛ قَدَّمَ جَسَدَهُ لِلنِّيرَانِ، وَوَلَدَهُ لِلقُرْبَانِ، وَطَعَامَهُ لِلضِّيفَانِ، وَأَخْلَصَ فِي عِبَادَةِ الرَّحْمَنِ، فَمَدَحَهُ رَبُّ الأَنَامِ؛ فَقَالَ فِيهِ: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم٣٧] نَعَمْ إِنَّهُ الوَفَاءُ؛ إِنَّهُ الإِخْلاصُ؛ الإِخْلاصُ الَّذِي أَمَرَنَا اللهُ بِهِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة٥] فَالوَفَاءُ لَيْسَ عِبَادَةَ سَاعَةٍ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ثُمَّ أَقُومَ بِعِصْيَانِ الله ثَلاثًا وَعِشْرِينَ سَاعَةً؛ لَيْسَ مِنَ الوَفَاءِ أَبَدًا مَعَ الله أَنْ أَعْبُدَ اللهَ شَهْرًا طَوَالَ العَامِ ثُمَّ أَصُومَ عَنِ العِبَادَةِ إِلَى نِهَايَةِ العَامِ، لاَ..لاَ، فَالمؤْمِنُ الحَقُّ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى الدَّوَامِ؛ حَتَّى يَدْخُلَ القَبْرَ ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر٩٩] وَاليَقِينُ فِي الآيَةِ: الموْتُ، هَكَذَا كَانَ نَبِيُّ الله إِبْرَاهِيمُ أُمَّةً قَانِتًا لله وَشَاكِرًا لأَنْعُمِهِ؛ إِنَّهُ وَفِيٌّ فِي عِبَادَتِهِ وَمُخْلِصٌ فِيهَا، فَاسْتَحَقَّ رِضَا الله عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُ رَبُّهُ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لله حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الْدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾

[النحل١٢٠-١٢٢] وَجَعَلَهُ وَأَتْبَاعَهُ قُدْوَةً طَيِّبَةً فِي الصَّبْرِ وَالمُثَابَرَةِ؛ يَقْتَدِي بِهَا الدُّعَاةُ إِلَى اللهِ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الممتحنة٤] إِذًا.. تَعَلَّمْ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، وَخُذْ مِنْ قَصَصِهِمُ العِبَرَ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف١١١] وَهَكَذَا المُؤْمِنُ الحَقُّ وَفِيٌّ للهِ -أَيْضًا- حَيْثُ وَصَفَ اللهُ أُولِي الأَلْبَابِ بِالوَفَاءِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [الرعد٢٠] فَالمُؤْمِنُ الحَقُّ إِنْسَانٌ مُتَوَازِنٌ مُعْتَدِلٌ مُسْتَقِيمٌ، فَهُوَ فِي سَعَادَةٍ دَائِمَةٍ لَوْ يَعْلَمُهَا المُلُوكُ وَأَبْنَاءُ المُلُوكِ لَجَالَدُوهُ عَلَيْهَا بِالسُّيُوفِ، وَتَذَكَّرْ -حَبِيبِي فِي اللهِ- أَنَّ أَبَاكَ آدَمَ عليه السلام خَرَجَ مِنَ الجَنَّةِ؛ بِسَبَبِ أَكْلَةٍ أَكَلَهَا، عَصَى فِيهَا الرَّحْمَنَ، وَأَطَاعَ فِيهَا الشَّيْطَانَ، قَالَ اللهُ جل جلاله: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه١٢١]

وَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ صَحَابِيًّا رضي الله عنه وَهَبَ لِلنَّبِيِّ غُلَامًا خَادِمًا.. فَجَاهَدَ هَذَا الغُلَامُ بَعْدَ خِدمتِهِ وَدِفَاعِهِ عَنِ النَّبِيِّ، وَفِدَائِهِ النَّبِيَّ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ ثُمَّ اسْتُشْهِدَ فِي غَزْوَةِ خَيْبَر.. فَقَالَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ [1]: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ الشَّمْلَةَ [عمامة] التِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَر مِنْ المَغَانِمِ لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ

---

(١) (صحيح): البخاري ٤٢٣٤، مسلم ١١٥، أبو داود ٢٧١١، النسائي ٣٨٢٧.

لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نارًا»؛ لأَنَّهُ غَلَّهَا مِنْ غَنَائمِ المسْلِمِينَ، ثُمَّ مَاتَ لِتَـوِّهِ فَخُـتِمَ لَـهُ بِخَاتمَـةِ سوءٍ.. فَلَمْ يَشْفَعْ لِهَذَا الغُلامِ خِدْمَتُهُ النَّبِـيَّ أَوْ جِهَـادُهُ فِي سَـبِيلِ الله وَاسْتِشْـهَادُهُ، وَانْظُرْ إِلَى الرَّجُلِ الَّذِي قَتَلَ مَائةَ نَفْسٍ كَمَا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ(١)، ثُمَّ ذَهَـبَ إِلَى الأَرْضِ الطَّيبةِ بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ وَنَفْسٍ تَائِبَةٍ، فَخُتِمَ لَهُ بِخَاتِمَةٍ طيِّبةٍ؛ فَادْعُ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- أَنْ يَخْتِمَ لَكَ بِحُسْنِ خِتَامٍ؛ فَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالخَوَاتِيمِ، قَالَ رَسُـولُ الله(٢): «يُبْعَـثُ كُـلُّ عَبْـدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»..وَالحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ، فَإِنَّهُ لَنْ يُخَلَّدَ مُؤْمِنٌ مُوَحِّدٌ فِي النَّارِ، إِنَّمَا يُعذَّبُ عَلَى قَدْرِ عَمَلِـهِ، أَمَّـا المُخَلَّـدُ فِي النَّـارِ فَهُـوَ المشْرِكُ وَالكَـافِرُ، نَسْـأَلُ اللهَ أَنْ نَمُوتَ عَلَى التَّوْحِيدِ الخَالِصِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الحَقَّ يَوْمَ القِيَامَـةِ حَقَّـانِ: حَـقُّ الله وَهَـذَا الأَمْرُ مَتْرُوكٌ لِرَبِّ العِبَادِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبنَا، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَنَا، وَحَقُّ العِبَـادِ إِنْ أَدَّيْتَـهُ فِي الدُّنْيَا فَبِهَا وَنِعْمَتْ، وَإِنْ لَمْ يُؤَدَّ فِي الدُّنْيَا يُؤْخَذُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِـنْ حَسَـنَاتِك، فَـإِنْ فَنِيَتْ يُؤْخَذُ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِ الحَقِّ فتُطْرَح عَلَيْكَ، ثُمَّ تُطْـرَح فِي النَّـارِ وَالعِيَـاذ بِالله، إِذنْ تَحَلَّلْ مِنْ ظُلْمِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ ؛حَتَّى تَمُوتَ عَلَى تَوْبَةٍ، وَاعْلَمْ أَنَّنا لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الجَنَّةِ نَسَبٌ أَوْحَسَبٌ، وَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّارِ وَسِيطٌ، لَقَـدْ دَخَـلَ ابـنُ سَـيِّدِنَا نُوحٍ عليه السلام النَّارَ، وَكَذَلِكَ أَبُوسَيِّدِنَا إِبْـرَاهِيمَ الخَلِيـلِ عليه السلام، وَغَيْرُهُمَـا مِمَّـنْ يَنْتَسِـبُونَ

(١) (صحيح): البخارى ٣٤٧٠، مسلم ٢٧٦٦، ابن ماجة ٢٦٢٦، أحمد ١٠٧٧٠

(٢) (صحيح): مسلم ٢٨٧٨.

لأنبياءِ الله تبارَكَ وَتَعالَى.[١] «فمَنْ أبطأ به عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ به نَسَبُهُ» فَانتَبِهْ - أيُّها الحبيبُ - فالأَمْرُ جِدٌّ خَطِيرٌ، فادْعُ اللهَ يُطِيلَ عُمْرَكَ، ويُبلِّغَكَ مَوَاسِمَ الخَيْرَاتِ وَالنَّفَحَاتِ؛ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ[٢]: أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ بَلِيٍّ[٣] قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَ إِسْلامُهُمَا جَمِيعًا فَكَانَ أَحَدُهُمَا أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنَ الآخَرِ فَغَزَا المُجْتَهِدُ مِنْهُمَا فَاسْتُشْهِدَ، ثُمَّ مَكَثَ الآخَرُ بَعْدَهُ سَنَةً ثُمَّ تُوُفِّيَ، قَالَ طَلْحَةُ: فَرَأَيْتُ فِي المَنَامِ بَيْنَا أَنَا عِنْدَ بَابِ الجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِهِمَا فَخَرَجَ خَارِجٌ مِنْ الجَنَّةِ فَأَذِنَ لِلَّذِي تُوُفِّيَ الآخِرَ مِنْهُمَا ثُمَّ خَرَجَ فَأَذِنَ لِلَّذِي اسْتُشْهِدَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ فَقَالَ: ارْجِعْ فَإِنَّكَ لَمْ يَأْنِ لَكَ بَعْدُ، فَأَصْبَحَ طَلْحَةُ يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ؛ فَعَجِبُوا لِذَلِكَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَحَدَّثُوهُ الحَدِيثَ فَقَالَ: مِنْ أَيِّ ذَلِكَ تَعْجَبُونَ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا كَانَ أَشَدَّ الرَّجُلَيْنِ اجْتِهَادًا ثُمَّ اسْتُشْهِدَ وَدَخَلَ هَذَا الآخِرُ الجَنَّةَ قَبْلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ فَصَامَ، وَصَلَّى كَذَا وَكَذَا مِنْ سَجْدَةٍ فِي السَّنَةِ، قَالُوا: بَلَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ.

---

(١) (صحيح): صحيح الجامع ٥٧١٥.

(٢) (صحيح): ابن ماجة ٣٩٢٥، صحيح الجامع ١٣١٦.

(٣) بلي: اسم قبيلة من قضاعة.

يَعْنِي: أَطَالَ اللهُ عُمْرَهُ، وَأَحْسَنَ عَمَلَهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ(١): «خيرُ النَّاس من طال عُمْرُهُ وحَسُنَ عَمَلُهُ، قَالَ: فأيُّ النَّاس شرٌّ. قال: منْ طال عُمْرُهُ وساء عَمَلُهُ».

فَالإِنْسَانُ-دَائِمًا-مُتَعَلِّقٌ بِالدّنيَا مَهْمَا طَالَ عُمْرُهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ(٢): «لا يزالُ قلبُ الكبيرِ شابًّا فِي اثْنَتَيْنِ؛ حُبِّ الدُّنيَا وطُول الأمل». فَادْعُ اللهَ أَنْ يُجَنِّبَكَ الإِسْرَافَ وَيَتُوبَ عَلَيْكَ، وَيَهْدِيَ قَلْبَكَ؛ فَالهِدَايَةُ مِنَ اللهِ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، فَهِدَايَةُ وَتَثْبِيتُ القُلُوبِ بِيَدِ عَلاَّمِ الغُيُوبِ، حَتَّى قَلْب النَّبِيِّ ﷺ لَيْس بِيَدِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً﴾[الإسراء٧٤] فَأَنْتَ لاَ تَمْلِكُ قَلْبَكَ-فَقَلْبُكَ لَيْسَ بِيَدِكَ-وَهُوَ أَعْظَمُ مَا فِي جِسْمِكَ-وَلاَ تَمْلِكُ أَنْ تُحِبَّ وَأَنْ تُبْغِضَ؛ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُقْسِمُ فَيَقُولُ(٣): «لا وَمُقَلِّبِ القُلُوبِ» فما سُمِّيَ القَلْبُ قَلْبًا إِلا لأَنَّهُ عَظِيمُ التَّقَلُّبِ؛ فَهُوَ اليَوْمَ يُحِبُّ، وَغَدًا يَكْرَهُ، لِذَا؛ أَكْثِرْ-أَخِي فِي اللهِ-مِنْ دُعَاءِ الرَّسُولِ ﷺ حَيْثُ كَانَ ﷺ يُكْثِرُ مِنْ هَذَا الدُّعَاءِ(٤): «يَا مُثَبِّتَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ» فَارْتَعَدَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رضي الله عنها وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَ إِنَّ القُلُوبَ تَتَقَلَّبُ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدمِيٌّ إِلا وَقَلْبُهُ بَيْنَ

---

(١) (صحيح): الترمذي ٢٣٣٠، صحيح الجامع ٣٢٩٧

(٢) (صحيح): البخاري ٦٤٢٠، مسلم١٠٤٦، الترمذي٢٣٣٨، ابن ماجة٤٢٣٣

(٣) (صحيح): البخارى ٦٦١٧، أبو داود ٣٢٦٣، الترمذى ١٥٤٠، النسائى ٣٧٦١

(٤) (صحيح): أحمد ٢٥٩٨٠، الترمذى ٣٥٢٢، صحيح الجامع ٤٨٠١

أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ. فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ. وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ» فَادْعُ اللهَ أَنْ يُقِيمَكَ وَيَهْدِيَكَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ؛ فَالتَّوْفِيقُ لِلطَّاعَاتِ فَضْلٌ مِنَ اللهِ عَلَيْكَ، وَالبُعْدُ عَنِ الطَّاعَاتِ عِقَابٌ مِنَ اللهِ عَلَيْكَ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ (المائدة: ٤٩) فَلَوْ أَصَابَكَ اللهُ بِذُنُوبِكَ لَهَلَكْتَ؛ فَادْعُ بِإِخْلَاصٍ وَأَنْتَ مُوقِنٌ بِالإِجَابَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ، قَالَ سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ(١): "لاَ يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ مِنَ الدُّعَاءِ مَا يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ فَإِنَّ اللهَ أَجَابَ دُعَاءَ شَرِّ الخَلْقِ إِبْلِيسَ إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ (ص: ٧٩-٨١) وَاحْذَرِ أَنْ تَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ؛ فَاللهُ لاَ يَهْدِيهِمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: ٥١) فَلِلْعُلَمَاءِ فِيهَا رَأْيَانِ: الأَوَّلُ: أَنَّ المُرَادَ بِالظَّالِمِينَ هُمُ الظَّالِمُونَ الَّذِينَ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الشَّقَاوَةَ، وَأَنَّهُمْ يَمُوتُونَ عَلَى الكُفْرِ وَالعِيَاذُ بِاللهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠٦-١٠٧) وَالرَّأْيُ الثَّانِي: أَنَّهُمْ ظَالِمُونَ مَا دَامُوا عَلَى ظُلْمِهِمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الصف: ٥) فَاللَّهُمَّ أَحْيِنَا مُسْلِمِينَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ؛ غَيْرَ خَزَايَا وَلاَ مَفْتُونِينَ، وَثَبِّتْنَا عَلَى هَذَا الدِّينِ العَظِيمِ

---

(١) كما في فتح الباري ١١/ ١٤٤

الإِسْلاَمِ؛ فَالإِسْلامُ شَـمْسٌ لاَ تَغِيـبُ؛ لأَنَّـهُ الـدِّينُ الخَـاتَمُ، فَـإِنْ بَرِحَـتْ شَـمْسُ الإِسْلاَمِ أَرْضَ قَوْمٍ أَشْرَقَتْ عَلَى دِيَارِ قَوْمٍ آخَرِينَ؛ فَمَا أَعْظَمَ هَـذَا الـدِّينَ الَّـذِي لاَ يَغِيبُ! فَاللَّهُمَّ تَوَفَّنَا عَـلَى التَّوْحِيـدِ، وَاجْعَلْنَـا مِـنَ المتَّقِـينَ فِي الـدُّنيَا؛ الفَـائِزِينَ فِي الآخِرَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران١٨٥]

وَاللهُ مِنْ وَرَاءِ القَصْدِ...وَاللهُ أَعْلَى وَأَعْلَمُ، تَقَبَّلَ اللهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ صَالِحَ الأَعْمَالِ..

العَبْدُ الفَقِيرُ إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ القَدِيرِ

هاني سعد غنيم

نَسْأَلُكُمْ صَالِحَ الدُّعَاءِ بِظَهْرِ الغَيْبِ

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

المَراجِعُ:

١) القُرْآنُ الكَرِيمُ.

٢) تَفْسِيرُ ابنِ كَثِيرٍ.

٣) تَفْسِيرُ القُرْطُبِي.

٤) تَفْسِيرُ الجَلالَيْنِ.

٥) صَحِيحُ البُخَارِيّ.

٦) صَحِيحُ مُسْلِم.

٧) البِدَايَةُ وَالنّهايَة لابنِ كَثِيرٍ.

٨) صَحِيح الجَامِع الشَّيْخ الأَلْبَانِي.

٩) سِيَرُ أَعْلاَمِ النُّبَلاء.

١٠) أُسْدُ الغَابَةِ.

١١) سِيْرَةُ ابْنِ هشَامٍ.

١٢) التَّقْوَى الدُّرَّةُ المفْقُودَةُ أَحْمَد فَرِيد.

الفهرس

سيصدر قريبًا -إن شاء الله- كتاب:

(دَلالاتٌ لُغوِيَّةٌ وأَسْرارٌ لَفْظِيَّةٌ مِنَ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ)

كِتَابٌ يَتَحَدَّثُ عَنِ الإِعْجَازِ اللُّغَوِيِّ فِي القُرْآنِ، وَيَكْشِفُ سِرًّا مِنْ أَسْرَارِ لُغَةِ القُرْآنِ بالأَدِلَّةِ.

وَتَقْرَأُ فِيهِ المَبَاحِثَ الآتِيَةَ:

أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ؟!

أَسْمَاءُ القُرْآنِ.

مُدَاوَمَةُ تِلاوَةِ القُرْآنِ مِنْ عَلامَاتِ الإِيمَانِ.

الْتِزَامُ الأُسْلُوبِ الرَّاقِي فِي القُرْآنِ.

كَلِمَاتٌ لَزِمَتْ حَالَةً وَاحِدَةً فِي القُرْآنِ.

مَا تَظُنُّ أَنَّهُ مُتَرَادِفُ المَعْنَى، وَلَيْسَ مِنَ المُتَرَادِفِ.

مَوَاضِعُ الآيَاتِ المُتَشَابِهَاتِ فِي القُرْآنِ وَسَبَبُ ذَلِكَ..

هَكَذَا قَالَ اللهُ فِي القُرْآنِ..فَلِمَاذَا؟!

فِي رِحَابِ القُرْآنِ (مَعْلُومَات مُهِمَّة).

قُطُوفٌ نَحْوِيَّةٌ مُهِمَّةٌ مِنَ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ

وَمَبَاحِث أُخْرَى مُفِيدَة إِنْ شَاءَ اللهُ.

وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ

كتب أخرى صدرت -بحول الله وقوته- للمؤلف:

فِي المَجَالِ اللُّغَوِيِّ:

١)أَشْهَرُ الأَخْطَاءِ اللغَوِيَّةِ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا الدُّعَاةُ وَمُحِبُّو اللغَةِ العَرَبِيَّةِ.

٢) فُنُونٌ وَلَطَائِفُ لُغَوِيَّةٌ مِنْ رِيَاضِ لُغَتِنَا العَرَبِيَّةِ.

فِي المَجَالِ الإِسْلَامِيِّ:

١) رَمَضَانُ ذَلِكُمُ الشَّهْرُ الفَضِيلُ وَضَيْفُ اللهِ الجَلِيل.

٢) مَاذَا بَعْدَ رَمَضَانَ؟!.

٣) تَذْكِرَةُ المُسْلِمِينَ بِمَنْزِلَةِ وَطَاعَةِ النَّبِيِّ الأَمِينِ ﷺ.

٤) الابْتِلاءُ تَطْهِيرٌ وَنِعْمَةٌ مِنْ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ.

٥) التَّقْوَى جُنَّةٌ...وَطَرِيقُكَ إِلَى الجَنَّةِ.

٦) الإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللهِ.

٧) الرَّحْمَةُ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَحَيَاةِ سَلَفِ الأُمَّةِ.

٨) الاسْتِغْفَارُ مِنْ كِتَابِ رَبِّنَا الغَفَّارِ وَسُنَّةِ سَيِّدِ الأَبْرَارِ.

٩) أُرِيدُ أَنْ يَرْحَمَنِي اللهُ، فَمَاذَا أَفْعَلُ؟!

مَنْ أَرَادَ عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ الكُتُبِ المَذْكُورَةِ أَعْلَاهُ بِسِعْرٍ رَمْزِيٍّ (ثَمَن التَّكْلِفَةِ الفِعْلِيَّةِ)؛ لِتَوْزِيعِهِ فِي سُبُلِ الخَيْرِ المُخْتَلِفَةِ فَلْيَتَّصِلْ بِالمُؤَلِّفِ عَلَى هَاتِفِهِ المَذْكُورِ فِي مُقَدِّمَةِ الكِتَابِ؛ لِتَدْبِيرِهِ.

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت: ٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢